وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامــعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قـــسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مطبوعة بيداغوجية:

محاضرات مقياس مدخل الى علم الاجتماع

مقياس سداسي سنة أولى علوم اجتماعية

الأستاذ : يونسي عيسى

الموسم الجامعي 2020/2019

بسم الله الرحمان الرحيم

محاضرات مقياس مدخل الى علم الاجتماع

(مقياس خاص بالفصل الأول للسنة الأولى علوم اجتماعية)

موزع على ثلاث محاور حسب البرنامج المسطر

المحور لأول : التفكير الاجتماعي في الحضارات السابقة

ـ التفكير الاجتماعي عند الصينيين

ـ التفكير الاجتماعي عند الفراعنة

ـ التفكير الاجتماعي اليونانـــيين

ـ التفكير الاجتماعي في بلاد ما بين النهرين

ـ التفكير الاجتماعي في القرون الوسطى عند المسلمين

ـ التفكير الاجتماعي في القرون الوسطى عند المسيحيين

ـ الثورة الفرنسية

ـ الثورة الصناعية

-عصر التنوير

المحور الثاني : ماهية علم الاجتماع

ـ تعريف علم الاجتماع

ـ موضوع علم الاجتماع

المحور الثالث : رواد علم الاجتماع

ـــ ابن خلدون

ـ اوجست كونت

ـــ اميل دوركايم

ـ ماكس فيبر

يقول أوجست كونت :

" لا يتيسر معرفة معنى من المعاني معرفة جيدة إلا بالاطلاع على تاريخه "

تمهيد :

يتبين من خلال التراث في مجال التفكير الاجتماعي في المجتمعات القديمة وعند كثير من الرواد القدامى عدة حقائق يمكن أن نلخصها في عدة نقاط هي كالاتي :

إن التفكير الاجتماعي في المجتمعات القديمة كان صورة مطابقة للواقع الاجتماعي السائد بهذه المجتمعات ، حيث يتميز هذا الواقع بالطبقية الاجتماعية فمثلا نجده في الفكر المصري والبابلي والصيني والهندي واليوناني والروماني واضحا للعيان.

لم يكن ذا طابع منظم ، وغير نابع عن دراسة مقصودة لذاتها ، وانما كان صدى للظروف الاجتماعية والحكمة السائدة ، ولهذا يعبر عن الفرد أكثر مما يعبر عن الجماعة .

وكان فرديا في طابعه يعكس التجربة الشخصية ، وان كان في بعض الأحيان يعكس مشاعر أو سلوك طبقة بعينها ، وخاصة تلك التي ينتمي اليها الكاتب

حيث يعمل هذا الفكر على صيانة النظام الاجتماعي وما ارتبط به من بناء اجتماعي متميز حيث تعتبر هذه النقاط الأخيرة هي الركيزة الأساسية التي يدور حولها هذا الفكر بصفة عامة

بحيث لم يكن هذا الفكر يأخذ شكل نظرية كاملة بل كان عبارة عن بعض الأراء والأفكار المتفرقة والتي تشمل عدة مواضيع وعدة ميادين، كالتوجهات

الأخلاقية والمبادئ التي يضعها المفكرون لإرشاد الناس وتوجيههم فيما يتعلق بحياتهم اليومية والاجتماعية وعموما هذه المبادئ كان الهدف الأساسي منها باختصار هو ما يجب أن يكون عليه المجتمع ونظمه ، وارتبط هذا الفكر ارتباطا وثيقا في هذه المجتمعات بصبغة دينية خالصة .

وبالتالي هنا نؤكد على فكرة هامة هي ارتباط الفكر في هذه المجتمعات عبر التاريخ بالطابع الطبقي المثالي والديني(عبد الله عبد الغني غانم، 1988،ص09).

1 ـ التفكير الاجتماعي في الحضارة الصينية

*يجمع مؤرخو التفكير الاجتماعي على أن التفكير الصيني والفلسفة الاجتماعية عندهم تمثل أقدم تفكير منظم عن المجتمع قبل عصر سقراط *(محمد عاطف غيث،2009 ،ص 05).

ويعتبر التفكير الاجتماعي من بين الاسهامات العظيمة التي قدمها الصينيون للبشرية جمعاء، ولقد تميز التفكير الاجتماعي في الصين بخاصيتين بالمقارنة بالفكر الاجتماعي في المجتمعات القديمة

1 ـــ فقد اتسم بأنه كان فكرا منظما من ناحية، وبأنه كان فكرا عمليا من ناحية أخرى

2ـ إنه فكر ديني

ولقد اكتسب الفكر الصيني هذه الخصائص من أنه كان استجابة لظروف محددة مرت بالمجتمع الصيني ، فلقد نشأة حضارة زاهرة قديمة في الصين في وقت مبكر من عصور التاريخ

حيث عرف فيها الصينيون الزراعة المستقرة ، وصناعة الأواني الحجرية والفخارية ، كما ابتكر الصينيون نوعا خاصا من الحضارة التي عبروا عنها بالصورة وذلك من منذ الف عام قبل الميلاد ، إلا أن هذه الحضارة قد عرفت

أزمات خطيرة من خلال عدة عوامل أبرزها(عبد الله عبد الغني غانم،1929،ص29):

الغزو الخارجي : بحيث عرف المجتمع الصيني غزوات خارجية متتالية من جانب الترك والتتار والمغول وغيرهم من القبائل ، حيث كانت هذه الغزوات عاملا سلبيا في تقدم المجتمع الصيني ، بحيث أضعفت هذه الغزوات من قوة المجتمع الصيني ، وسلبه الكثير من إمكانياته وذمرت موارده

2ـــ الظروف الداخلية : حيث عرف المجتمع الصيني الكثير من عوامل التفكك والتناقض الاجتماعي ، بحيث تعرض المزارع الصيني لكثير من الضغوط ، وكان يعاني من الفقر والبؤس وذلك من جانب الأمراء الذين كانوا ينعمون بكل الامتيازات والخيرات والثروات على حساب الفقراء

وسادت كثير من المظالم في المجتمع الصيني كبعض العادات السيئة كخطف الفتيات وإرغامهن على الزواج وغيرها من العادات

وكنتيجة حتمية لهذه العوامل ظهر المفكرون الصينيون الذين قادوا خملات فكرية تتصدى لهذه المفاسد والمأسي

ومن هنا كانت الصبغة العملية للفكر الصيني ومن خلالها تشكل التفكير الاجتماعي الصيني على أساس فلسفي تشكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشيوسية والتاوية والكونفوشيوسية الجديدة ، إضافة الى مذاهب أخرى وقد قامت هده الفلسفات بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته ، وكانت مصدر إلهام

عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، وكانت الفلسفة الصينية التي أكدت على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق واضطلعت بمعظم وظائف الدين ولم يكن الهدف الرئيسي للفلسفة والتفكير الاجتماعي الصيني في المقام الأول فهم العالم وإنما جعل الناس عظماء ، وعلى الرغم من أن الفلسفات الصينية المختلفة يشكل هذا الهدف قاسما مشتركا بينها فإنها تختلف إلى حد كبير نتيجة الإستبصارات المختلفة عن مصدر العظمة الإنسانية

وقد أدى ذلك إلى التأكيد على الأخلاق والحياة الروحية، فالروح وليس الجسد هي الجانب الأهم في الوجود البشري وهذه الحياة لابد من تغذيتها ورعايتها لكي تتطور بحسب قدراتها والهدف هو الوصول إلى مستوى أسمى للوجود الإنساني (صلاح الدين شروخ،2005، ص28).

نماذج من فكر حضارة الصين القديمة

ـ ***الكونفوشيوسية*:** وهي كلمة مستمدة من المصلح والفيلسوف والمفكر كونفوشيوس

ولد كونفوشيوس عام (551) ق.م في مملكة (لو lu) والتي تعرف الأن بولاية شان تونج

فلقد درس كونفوشيوس كثيرا الأدب الصيني وألم بكثير من الثقافات والمعارف الماما كبيرا، وعرف بفصاحة لسانه وكان كونفوشيوس رزينا منذ نعومة

أظافره، مثالا لرفعة النفس وسمو الأخلاق، إذ كان يستنكر دسائس الساسة ومؤامرات رجال الدولة ، وتقلد عدة وظائف هامة وهو في العشرين من عمره مثل القضاء ، ووكيل وزارة الأشغال العامة وانتهى به المطاف إلى أن أصبح وزيرا للعدل ، وكذلك كان مصلحا دينيا وحكيما في كثير من الأمور

مؤلفاته:

وقد ألف كونفوشيوس خمسة كتب هي كتاب الأغاني وكتاب التاريخ وكتاب التغيرات وكتاب الربيع والخريف وكتاب الطقوس، وهذه الكتب الخمسة ذات قيمة كبيرة للاجتماع الوصفي، وعموما فقد أجمع المؤرخون على أن الفكر الصيني هو أقدم تفكير منظم على أن الفكر الصيني هو أقدم تفكير منظم عن المجتمع (حسن شحاتة سعفان، ص25).

وينظر كونفوشيوس الى الحاكم أنه مفوض من الله لتسيير الأرض، وطاعته واجبة طالما احترم هو ذاك التفويض الإلهي وإلا فمن واجب الأفراد أن يثوروا ضده وقد صاغ كونفوشيوس في كتبه الخمسة قواعد الأخلاق وهي ذات قيمة كبيرة جدا بالنسبة لعلم الاجتماع الوصفي الصيني

ومن بين الأفكار الهامة لكونفوشيوس أنه كان يؤمن بوجود جاذبية طبيعية بين الناس (الإنسان اجتماعي بطبعه)، على نحو ما نرى من علاقات أفراد الأسرة الواحدة .

كما أشار كونفوشيوس الى أن العلاقات بين الناس (العلاقات الاجتماعية) لا تقوم على أسس وضعه، بل تستمد من إله السماء وأن النظام الاجتماعي الأمثل لابد أن يقوم على أسس دينية أصلا

ويرى كونفوشيوس كذلك أن الهدف الأسمى هو إصلاح الأخلاق الاجتماعية، بل ويعتبر مطلبه الأول على الاطلاق.

بحيث يعتقد كونفوشيوس أن الأخلاق هي السبيل الوحيد للقضاء على الفوضى والاضطرابات في المجتمع، وذلك من خلال عدة أوجه منها ضرورة توافق الفرد في سلوكه مع حياة المجتمع الذي يعيش فيه وأن ينضبط ويلتزم بما أقره المجتمع من أخلاق وقيم والذي يعتبرها هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية بالمجتمع

ويتناول كذلك الوحدات والنظم الاجتماعية المرتبطة، كالأسرة ويعتبرها وحدة للتنشئة الاجتماعية ومركز بث الاخلاق، ويعطيها أهمية قصوى في المجتمع ويؤكد على أن صلاح الأسرة هو صلاح المجتمع كله، ومنه يجب أن تكون العلاقات بين أفراد الأسرة مطابقة للمبادئ الأخلاقية السائدة في المجتمع الكبير

ومن خلال التنشئة الاجتماعية السوية للأفراد داخل الاسر يجعل الفرد يتواءم ويتكيف مع المجتمع ككل، ويتعود الأفراد بأسرهم على أخلاق المجتمع ويربوا عليها، وهذا يقلل كثيرا من الاضطرابات بالمجتمع ويلغي الحاجة الى القضاء والحكام.

ويركز كونفوشيوس كثيرا على مرحلة التعليم التي تمثل المرحلة التالية بعد عملية التنشئة الاجتماعية التي تتم في الأسرة، فأعطى النظام التربوي اهتماما كبيرا مركزا فيه على التنشئة على الأخلاق الاجتماعية وعلاقة التعليم بالمساواة بين الأفراد

ويرى كونفوشيوس أن التعليم هو أحد الوسائل الفعالة في نقل العادات والنظم الاجتماعية وتنشئة الأفراد على ما استقر بالمجتمع من هذه الأخلاق وبالتالي فهو يسهم في إيجاد التوافق الاجتماعي، ولهذا الدور الهام للتعليم ومسايرة للصيغة العملية في فكر كونفوشيوس فقد نادى بإنشاء مدرسة أولية في كل قرية وجامعة في كل مقاطعة (عبد الله عبد الغني غانم، 1988، ص 34).

وبرى كونفوشيوس أن تحقيق المساواة بين الناس لا يتحقق الا اذا أصبح كل شخص على معرفة بحقوقه وواجباته، وهذا من خلال ما يؤدي ما عليه من واجبات ويتمسك بماله من حقوق، وقد رأى كونفوشيوس أن التعليم هو السبيل الى ذلك ، فهو يؤكد على أن التعليم هو السبيل الوحيد لضرب الطبقية ومنه تحقيق المساواة بين الناس .

وفي الأخير يرى كونفوشيوس أنه لا مجال لتحقيق كل هذه الأمور إلا باتحاد شعوب العالم جميعا في جمهورية عالمية واحدة يحكمها الفلاسفة والحكماء لأنهم وحدهم القادرون على تحقيق العدالة والمساواة.

الطاوية:

تعتبر الطاوية مذهب وطريقة تفكير قائمة على وجوب طلب الطاو أي الوسط بين المكونين الاثنين للعالم وهما ألين (الأنثى) واليانج (الذكر) وترى الطاوية بأن الطبيعة البشرية ليست حسنة، وليست كذلك بالسيئة أي أن الاستقامة والأمور الحسنة تكتسب بتكرار السلوك الحسن

وكذلك هي قائمة على الدعوة للتأمل وفحص النفس عكس الكونفوشيوسية القائمة على العمل وحب الاجتهاد

وصلب فكرها الاجتماعي بأن الكون في حال تغير وتعديل مستمر بين داخل مجال القوة التي كونها الين واليانج، ولكن دونما صراع بينهما لأنهما متوازيان ومتعادلان كقطبي مغناطيس واحد وهما الين واليانج

وبالنسبة للطاوية فإن الفضيلة هي سلوك الطريق الوسط (صلاح الدين شروخ،2005، ص29).

2 ـ التفكير الاجتماعي عند المصريين القدامى (الحضارة الفرعونية)

لقد عرف المصريين القدامى نظام المدينة بوصفها " وحدة سياسية " حيث كانت المدن تتمتع باستقلال ذاتي وأشبه بالمراكز الاجتماعية وتجارية، ولقد زاول المصريين القدامى كثير من المهن والأعمال في قطاعات عديدة كالزراعة والتجارة والفنون والصناعة، وكان لهذه الأمور انعكاس واضح على تعزيز العلاقات والروابط الاجتماعية، حيث خلقت قدرا كبيرا من الأفكار الاقتصادية والأخلاقية والسياسية التي تسير في ضوئها المعاملات الإنسانية (مصطفى الخشاب، 1979، ص 33).

بحيث نجد كثير من الأثار والأدوات والبرديات التي سجلت وأوضحت اهتمامهم بشؤون الحكم والإدارة والأسرة، وكذا في برديـاتهم كثير من التوجيهات والنصائح في مجال التعامل الأسري وواجبات الزوج والزوجة وطريقة تربية الأولاد.

بحيث نجد أن الكثير من الأثار التي تركها المصريون هي الطريق الذي أوضح لنا التعرف على كثير من الأفكار في الفكر الاجتماعي في مصر القديمة.

ومنه يمكننا أن نصل الى فكرة أساسية هامة أن التفكير الاجتماعي في مصر القديمة يتميز بخاصيتين:

ــ الطابع العملي

ــ الطابع الديني

أولا ــ الطـــــابع العملـي:

نجد ألبير ريفو يقول بأن المصريين قد عرفوا الفكر الصحيح والمنطق العلمي لأربعين عاما خلت قبل الميلاد أو أكثر من ذلك، إلا أن النشاط البارز قد اقتصر على المجال الفني والديني، ولم يرتق الى البحث النظري المنظم الذي عرفته المدارس الفلسفية فيما بعد

بحيث نجد كثير من التفكير والاهتمام بالنظام الأسري الأمثل والعلاقات الأسرية، وحتى التي لها علاقة بالقوانين والتشريعات فمثلا نجد أن القوانين والتشريعات المصرية القديمة ارتبطت بالحفاظ على البنية الاجتماعية الطبقية في المجتمع بحيث أصبحت هذه القوانين كنوع من الضبط الهدف الأساسي منه الإبقاء على النظام الطبقي، بحيث يعتبر المصريون من الرواد الأوائل في التقنين والتشريع وجمع القوانين، ومن بين ميزات هذه القوانين

1ــ الردع الشديد ووصلت العقوبات الى حد النفي وجدع الانف لمن يثبت في حقه الذنب او التورط في الممنوعات

2 ــ كفلت التشريعات المصرية القديمة المساواة بين المصريين أمام القانون

3 ــ استهدفت استقرار المجتمع وتخليصه مما شابه من شوائب خلقية ورشوة وفساد وغير ذلك

4 ــ حاولت القوانين استهداف إيجاد نسق نقي في الحياة الاجتماعية.

طور الفكر الاجتماعي المصري القديم النظام القانوني، وهو يشبه النظم القانونية الحديثة ففي الدولة القديمة (3188– 1800) ق.م كان نظام العقود المكتوبة مطبقا بدقة كما كان نظام اليمين موجودا عندما يتعلق الأفراد بالالتزامات المستقبلية كنظام المرافعات والتقاضي والمحاكم، وكانت للجلسات محاضرها.

وعرفوا نظام المحاكم الخاصة وكذا نظام المعاهدات الدولية (صلاح الدين شروخ ،2005، ص33).

النظام الأسري في التفكير الاجتماعي المصري القديم

أخذ موضوع الأسرة والتنشئة الاجتماعية والحياة الأسرية بشكل عام اهتماما كبيرا وواسعا، واحتل مكانة كبيرة في حكم الحكماء المصريين وكذا في الأدب المصري

فكانوا يمجدون ويقدسون الأسرة والحث على الزواج لأنهم يعتبرون الأسرة دعامة قوية وهامة للحياة الاجتماعية وهذا من خلال الكثير من النصائح والحكم بشأن ما يجب أن تكون عليه العلاقات الأسرية والواجبات المتبادلة بين الزوجين من ناحية والمسؤوليات المتبادلة التي تربط أفراد الأسرة جميعا من ناحية أخرى وكذلك رغبوا في عملية الإنجاب وتناولوا كذلك طرق التربية والتنشئة (عبد الله عبد الغني غانم،1988، ص15).

والنظام الاقتصادي والنشاط الزراعي كان واضحا في النظام الأسري حيث أن النظام المصري تشكل الى حد بعيد بأثار ارتبطت بالزراعة ، فاقتضاء الزراعة لمزيد من اليد العاملة كمساعدين وأجراء وغيرهم جعل أفر اد الأسر تشارك في العمل بحيث أعطى مكانة كبيرة للزوجة وأصبحت الأسرة موضع اعتزاز كبير وانعكس ذلك على الرجال الأغنياء من خلال زواجهم بأكثر امرأة واحدة ،حيث كانت غلبة الطابع العملي على الفكر الاجتماعي المصري القديم ، وارتباطه بالواقع الاجتماعي للمجتمع سببا في جعل الفكر المصري القديم ينصرف عن محاولة التجديد ووضع أسس ذات صبغة علمية خالصة على ما فعل اليونانيين.

ثانيا ــ الطابع الديني:

كان الطابع الديني أهم مصادر استقرار النظام الاجتماعي في المجتمع المصري القديم خاصة وأن هذا النظام قد ارتبط بالدين والأخلاق والقيم في ذات الوقت، واكتسب النظام بذلك طابع القداسة (عبد الله عبد الغني غانم،1988، ص18).

3ــ التفكير الاجتماعي عند اليونانيين:

مما لا شك فيه أن الفكر اليوناني قد التقى واحتك بالفكر الشرقي القديم وخاصة الفكر البابلي الأشوري والفكر الفارسي والفكر الفرعوني ، فالاتصال الحضاري والاحتكاك الثقافي له دوره في توجيه الفكر الاجتماعي نحو الموضوعية ، فقد اتصلت الحضارة اليونانية بالحضارات الأخرى نتيجة لهجرة بعض القبائل من الشعوب المجاورة و نتيجة الحروب اليونانية وأصحاب الحضارات الشرقية وبخاصة البابلية والأشورية والفارسية ، فضلا عن حركة التبادل التجاري التي راجت في تلك المرحلة خاصة وان اليونانيين كانوا يشتغلون بالتجارة بين الشعوب المختلفة ، فضلا عن زيارة بعض حكماء اليونان وفلاسفتها لمصر القديمة وزيارتهم لمعابدها والتقائهم مع الكهنة الذين كانوا يقومون بوظيفة التعليم ، فقد زار هيرودت وغيره مصر ونقلوا عنها كثيرا من المعارف ، وهذا الاتصال والاحتكاك أدى الى انتقال قيم وعادات جديدة على المجتمع اليوناني (عبد الهادي الجوهري،1999،ص09).

والفكر الاجتماعي اليوناني يمكن القول بأنه من أنفس المراحل الإنسانية من حيث العطاء والابتكار وهذا يظهر جليا في كل ما قدمته للعلوم، حيث لا يمكن الكلام عن أي شكل من أشكال المعرفة دون الوقوف عند الحضارة اليونانية وما قدمته للإنسانية عامة، ونظرا لشساعة الفكر والفلسفة اليونانية وتعدد مفكريها وفلاسفتها ومدراسها ومذاهبها سنتطرق لأشهر فيلسوفين هما أفلاطون وأرسطو على التوالي.

وقبل التطرق اليهما يجب أن نشير الى أمر هام يقوم على أساسه الفكر الاجتماعي اليوناني ألا وهو الحرية التي تنتج الابداع والأفكار الجديدة، وبخاصة الفردية منها نظرا لقيام حياتهم السياسية على النظام المحلي الإقليمي، وافتقادهم غالبا الحكومة المركزية المسيطرة على شعوب عديدة، فساعد ازدهار تلك الحرية على ازدهار الدراسات الفلسفية التي تضمنت الدراسات الاجتماعية، وذلك إضافة الى عدم وجود دين رسمي للدولة يحول دون نشأة الفلسفة النقدية (صلاح الدين شروخ،2005، ص39).

ضف الى ذلك سعي الفكر الاجتماعي اليوناني الى بحث الظاهرة الاجتماعية المستقرة، بدل البحث في التطور وربما كان ذلك بسبب الاعتماد على الزراعة الروتينية المكررة، وهو فكر اعتمد الاستدلال العقلي عموما، مع استثناء أرسطو الذي عني في بعض دراساته بالمنهج الاستقرائي، وكانت الغالبية على احتقار ذلك المنهج، اعتمادا على الحرية التي يبيحها المنهج الاستدلالي.

أولا: أفلاطـــون (427– 347) ق.م

ينتمي أفلاطون إلى أسرة أرستقراطية أثينية وقد عاش في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أي في الفترة (427 - 347) ق.م وقد تتلمذ على سقراط ، وقد عاش أفلاطون في فترة عصيبة بالنسبة لبلده بشكل عام ، وساد في اليونان في تلك الفترة اضطرابات كبيرة كما عرفت اليونان فترات من حكم ديكتاتوري الى جانب أزمة السفسطة التي أثرت تأثيرا كبيرا وسيئا على المجتمع ، كل هذا جعل أفلاطون ينسحب من الحياة العامة وسافر الى شمال افريقيا وإيطاليا وصقلية ، إلا أنه ما لبث أن عاد الى أثينا وأسس الأكاديمية وعمل في التدريس بها.

ويتمثل التفكير الاجتماعي عند أفلاطون في محاولته دراسة الحالة في المجتمعات اليونانية والبحث عن الأسباب التي تؤدي الى نشأة نظام اجتماعي معين (حسن شحاتة سعفان، 1966، ص31).

وأفلاطون كان لا يميز بين مفهوم الدولة من ناحية والمدينة من ناحية أخرى مثله مثل بقية المفكرين اليونانيين والذين تأثروا بالأوضاع التي كانت سائدة آنذاك حيث سادت دولة المدينة حيث تعتبر الوحدة السياسية الكبرى المعروفة في ذلك الوقت، ونجد في كتاباته اختلاط بين مفهوم المدينة والمجتمع حيث يرى بأن المدينة هي المجتمع، ويركز بشكل واضح على الحياة الاجتماعية في المجتمع.

ولقد أثرت الأوضاع السيئة التي عاشها المجتمع اليوناني في توجهات افلاطون بشكل كبير من خلال اتجاهه الى اليوتوبية حيث دفعته هذه الظروف الى التفكير في أفضل الظروف والنظم التي تتكفل بإيجاد نمط من الحياة تجلة من كل هذه المشاكل ومن هنا كانت جمهورية افلاطون التي أراد من خلالها رسم نموذجا لما يجب أن تكون عليه الدولة ليتحقق من خلالها الخير للأفراد والمجتمع.

ومن أشهر ما كتب أفلاطون في القضايا الاجتماعية نجد:

ـ الجمهورية

ـ السياسي

ـ القوانين

وفي كتابه الشهير الجمهورية يحاول أفلاطون أن يضع تخطيطا مثاليا لمجتمع الجمهورية بحيث يقدم لنا تصورا مثاليا لمجتمع خيالي مثالي خالي من الشرور والآثام التي توجد بالمجتمعات الواقعية.

وركز أفلاطون بشكل واضح على البناء الاجتماعي في تصوره لمدينته الفاضلة من خلال الاعتماد على بنية طبقية تعمل على اشباع حاجات مجتمع المدينة وتحقيق ذاتية كل طبقة من خلال ماهة متاح للأفراد.

وقد ربط بين البنية الطبقية والتخصص وتقسيم العمل في مجتمع الجمهورية، وهذا من خلال تأكيده على أن الحاجات تتحقق في المدينة المثالية من خلال تقسيم العمل وتخصص يرتبط اجتماعيا بكل طبقة في مجتمع الجمهورية، ويقوم

هذا البناء الطبقي على تصنيف مجموعة من الخصائص تتميز بها الطبقات الاجتماعية بعضها البعض، ومن هنا فقد رأى أفلاطون أن المجتمع يضم ثلاثا من الطبقات الاجتماعية هي:

طبقة الحكماء: ونعنبر من أرقى الطبقات وأفرادها فضلاء.

طبقة الجند: ودور هذه الطبقة الدفاع وحماية المجتمع ومؤسساتها من العدو الخارجي ويتميز أفرادها بامتلاك نفس مندفعة متدفقة بالحماس

طبقة العمال: تتكون هذه الطبقة من بقية أفراد الذين لا ينتمون الى الطبقتين السابقتين وتحتل هذه الطبقة المكانة الدنيا بين طبقات المجتمع.

طبقة العبيد والرق: وهذه الطبقة لا يكترث بها افلاطون كثير لأنه في تصوره يعترف الا بالإنسان الحر.

نشأة المجتمع عند أفلاطون

يؤكد أفلاطون على أن الحاجة الاقتصادية أي حاجة الانسان الاقتصادية لأخيه الانسان هي الاساس الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، فكان ينظر نظرة نفعية الى ضرورة الاجتماع والحياة الاجتماعية (حسن شحاتة سعفان،1966، ص46).

ومنه نستنتج ان افلاطون يعطي تفسيرا اقتصاديا لنشأة الحياة الاجتماعية من خلال ما ذكرناه سابقا من عوامل كتقسيم العمل والتخصص لأنه يرى ان كل

فرد لديه مجموعة من الاستعدادات الخاصة بكل نوع من العمل ويجب في نظره ان تحصر قوى الفرد في موضوع واحد ولا يمكن توريعها على مجموعة من الاعمال.

بحيث تكون الأشياء أوفر وأجود نوعا وأسهل إنتاجا إذا التزم العامل بما يميل اليه طبعه من الاعمال وتتمته في وقته الخاص.

أنواع المدن:

قسم افلاطون المدن الى عدة أنواع على أساس فئة الحكم

المدينة الكاملة: هي تلك التي يكون الحكم فيها للعقل وبالتالي للخير وتتوافر في هذه المدينة في ظل هذا الحكم صفات الحكمة والعفاف والشجاعة والعدالة.

المدن غير الكاملة: وهي التي ينقلب فيها الترتيب الطبيعي ولا يصبح للعقل والمعرفة أي مكان وتحل محله الطمع والبخل

القوانين:

أعطى أفلاطون قيمة وأهمية كبيرة للقوانين وأكد على أهميتها في الحياة البشرية وليس أدل على ذلك من أنه خصص مِؤلفا أسماه القوانين ، وأنه بدون قوانين سيتحول الناس الى طغاة يعتدي القوي على الضعيف ، ومنه فهو يرى أن أية دولة لا تقوم على العدل والقوانين مهددة بالانهيار وأن كل الفضائل هي فروع العدالة (محمود عبد المولى،1986،ص74).

وتناول في هذا السياق المرأة وأقر بضعفها عن الرجل وأن القوانين هي التي تحميها من ظلم الرجال

وتناول كذلك التطور الاجتماعي وتحدث عن طبيعة التطور الاجتماعي والزمن الذي يستغرقه ليبلغ مداه وهذا من خلا محاولة فهمه للمجتمع وتحليله لظواهره فكان ينظر الى المجتمع على انه كل تترابط اجزاءه لتكون كلا متساند (حسن شحاتة سعفان،1966، ص50).

السكان:

تناول افلاطون بعض النقاط الخاصة بالسكان من خلال جمهوريته ومجتمعه المثالي فانطلاقا من المنطق المثالي الذي يبحث عن مجتمع متكامل حاول افلاطون ان يربط بين حاجات المجتمع وموارده من ناحية، وعدد السكان من ناحية أخرى بحيث حدد عددا معينا من السكان لجمهوريته عددا لا يتخطاه ليتلاءم مع حاجات السكان مع موارده وقدرات المجتمع.

ثانيا: أرسطو (384 – 322) ق.م

يعتبر ارسطو تلميذ افلاطون وفي نفس الوقت معارضه ، ويعتبر من اشهر الفلاسفة عبر التاريخ واكثرهم تأثيرا على الأجيال المتعاقبة ، وأرسطو كان يبني كتاباته على ما أجراه من ملاحظات وكان استقرائيا وعندما يقارن بولوك pollock بين المفكرين افلاطون وارسطو يشير الى اننا لم نعد نتأثر بسحر أسلوب افلاطون وعظمة خياله وافلاطون كمن يجلس في بالون يطير به في

الهواء ويأخذ فكرة عن بعض الأشياء على سطح الأرض ويشق الطريق من خلال الضباب ، في حين ارسطو يعمل على سطح الأرض ويشق الطريق بنفسه والانسان يعجب بعقله في تناول الموضوع .

ويعتبر ارسطو رائد نظرية التطور وهذا من خلال دراسته لأصل الدولة والمجتمع قدم لنا نظرية ولكن عندما قدم لنا كتابه السياسة لم يستهله بموضوعات مجردة ثم حيث تناول مباشرة مناقشة تحليله لأصل الدولة ومنفعتها وأشار الى انه من اجل استمرار العنصر البشري يجب ان يتحد الجنسين لأنه الأساس في استمرار الدولة في الوجود ثم يأتي بعد ذلك العلاقة الضرورية بين السيد والعبد وبالتالي هناك علاقتان أساسيتان الأولى هي علاقة الزوجين الزوج بزوجته والثانية هي القائمة على الطبيعة لتوفير الحاجات اليومية للإنسان.(عبد الهادي الجوهري، 1999، ص 16).

وتصور أرسطو أن الاسرة القائمة على رجل واحد ومن امرأة واحدة هي الاسرة الأمثل لبقاء المجتمع وتطوره، وكان ارسطو من اشد المؤمنين بالحق الطبيعي للعبودية، فالأشخاص الموهوبون بالمعرفة والفراسة جعلتهم الطبيعة حكاما وهؤلاء الذين لا يملكون سوى القوة الجسدية مع قليل من التفكير عليهم القيام بالخدمات، وليس هذا مجرد نوع من التأمل أو التفكير بل كان مقتنعا اقتناعا تاما بالبيانات الأمبريقية المتوافرة عن الصدق العملي لهذه الفكرة.

ويعتبر ارسطو الاسرة اول ارتباط بين الناس، ويلي ذلك القرية التي تنشأ هن اتحاد مجموعة من الأسر، والقرية أكثر كمالا من الأسرة لأنها لا تكتفي بتوفير

الحاجات اليومية للإنسان، والقرية في نظر ارسطو في صورتها الطبيعية تجمع تكويني خالص وهي مستمدة من الأسرة (عبد الهادي الجوهري،1999، ص17).

والدولة هي الشكل الثالث من المجتمع وهي أسمى هذه الاشكال وتعتبر اتحاد مجموعة من القرى تحقق الاكتفاء الذاتي لنفسها ، واي دولة تستمر في الوجود هذا راجع لكونها وفرت الظروف المناسبة للتطور الكامل للطبيعة الاجتماعية للإنسان والسبب الحقيقي في كل هذا عند ارسطو هو ان الانسان كائن اجتماعي بالطبيعة ومنه فالدولة ليست خلقا مصطنعا بل نشأت بصورة طبيعية عن حاجات وميوله الطبيعية ، والحيوانات كلها كائنات طبيعية ولكن الانسان كائن اجتماعي بسبب قوة النطق أو الكلام ، ويرى ارسطو في نفس الوقت أن أي شخص قادر ان يعيش في عزلة تامة عن المجتمع أو يريد تحقيق ذلك هو شخص شاذ غير طبيعي ،

ويعتبر ارسطو الدولة بمثابة التنظيم السياسي للمجتمع وميز بين المفهومين ويبدو انه يعتقد في وجود مرحلة سابقة على ظهور الدولة وأن الدولة ضرورية لكي يمكن التغلب على الشروط الطبيعية للإنسان، ولكن إذا أخذنا كتاباته ككل يبدو أنه لا يعتقد في أن الدولة ثمرة النمو العضوي.

وفي حديثه عن السياسة يشير ارسطو في عبارة واضحة وصريحة الى النظرية العضوية للمجتمع ، وهي نظرية شاعت في التاريخ وصاغها صياغة دقيقة

عدد من العلماء خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ومن اشهرهم سنسر spenser ، وشفل schaffle، وورمز worms ، ولكن ارسطو لم يعقد المماثلة بين المجتمع والكائن العضوي ومع ذلك فمن الواضح أنه فهم المبدأ فهما كاملا ويتكون المجتمع من عدة نظم ، نظام الاستمرار في الوجود ويتمثل في الصناع والرعاة والعمال ونظم التوزيع ويتمثل في التجار ونظام الإدارة والحكم ويتمثل في المحاربين والمشرعين والحكام والقضاة .(عبد الهادي الجوهري ، 1999 ص 19).

وفي كلامه عن الاخلاقيات النيكومية وجد ارسطو الأساس الذاتي للدولة والمجتمع، ويتمثل هذا في الأساس في الصداقة وقد نشأت هذه الفكرة عن فكرة أخرى كان قد أشار اليها في مستهل كتابه وهي أن الانسان كائن اجتماعي بطبعه. (عبد الهادي الجوهري، 1999، ص 19).

وبسبب ميل الانسان للمعاشرة وهو ميل كامن يريد أن يكون له أصدقاء ولا يشعر بالسعادة الا مع أصدقائه، فالمجتمع أو الرابطة هي الحافز للصداقة، والصداقة هي الصورة الملموسة للطبيعة الاجتماعية للإنسان.

وأعطى ارسطو بناءا للدولة المثالية فيعتبر أن الدولة يجب أن تكون دولة مدنية صغيرة حيث ينبغي أن يعرف المواطنون كل ومنهم الأخر، ورغم أنه هاجم الشيوعية الا أننا نجد في كثير من أفكاره اثار لها، مثل الوجبات المشتركة وغيرها

نظريات أرسطو:

يعتبر ارسطو من أعظم المفكرين تأثيرا في الفكر الاجتماعي بسبب عمق فهمه للعمليات الاجتماعية وتأثيره القوي في الفكر الاجتماعي في العصور الوسطى

فقد أدخل ارسطو المنهج الامبريقي المطرد في دراسة الظواهر الاجتماعية وتأكيده المباشر والقاطع بأن الانسان كائن اجتماعي بطبعه

وأوضح ارسطو تفسيرا للتطور الاجتماعي على أساس المنفعة وهو توسيع للطبيعة الاجتماعية ومجال الرغبة والحاجة للمجتمع، ويرى أن الاستقرار الاجتماعي هو الغاية التي يجب أن تسعى اليها نظم المجتمع وأن المجتمع سابق على الفرد من ناحية.

والاساس الذاتي للمجتمع عند ارسطو كامن في الصداقة

وأخيرا نذكر أهم المبادئ التي انطوى عليها تفكير أرسطو

ـ الدولة هي الإطار السياسي للمدينة وهي تنظيم حياة المواطنين تبعا للقانون

ـــ جوهر القانون بالنسبة لأرسطو العدالة التي تتحقق الا من خلال تطبيق القانون الأخلاقي الذي يرتكز حول الفضيلة والمساواة الاجتماعية

ـــ التأكيد على دينامية المجتمع واعتبار التغير شرطا أساسيا لحياة المجتمعات الإنسانية فهو يرفض فكرة الثبات المطلق ويأخذ بفكرة النسبية الزمانية والمكانية فليس هناك نظام اجتماعي مثالي يمكن تطبيقه على كل الشعوب.

ـ الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعي من الناحية المورفولوجية ومن الناحية الوظيفية ويتألف البناء الاجتماعي من ست طبقات ولكل منها واجباته ووظيفتها الاجتماعية

ـ ابراز أهمية التوازن وكذلك التغير الديموغرافي فيرى ارسطو أن البناء يظل متوازنا بحكم التساند الطبقي، وممكن أن يختل هذا التوازن عن طريق التغير الديموغرافي، ومعنى هذا أن ارسطو يرى أن عدد السكان عندما يكون متوازن يضمن للمواطنين الرخاء المادي ويضمن الحكام التقدم الفكري لتكون الحكومة صالحة.

ومن العوامل التي تؤدي الى ضعف البناء الاجتماعي العامل البيئي الجغرافي فعندما تحول البيئة الجغرافية دون تحقيق الوحدة الاجتماعية والسياسية لسكان المدينة كان يفصل بين أجزاء المدينة جبل او نهر فلا يتحقق التوافق التام بين الأنظمة الاجتماعية لكل أجزاء المدينة وبذلك يصعب الاحتفاظ بمقومات الوحدة.

ويعتبر فساد نظام الحكم من أهم عوامل القلق الاجتماعي، وهناك في نظره عدة أشكال صالحة للحكم كحكومة الفرد الفاضل العادل وحكومة الصفوة الفاضلة العادلة ثم حكومة الجمهورية أو حكومة الطبقة الوسطى، فالمقابل ممكن ان تتعرض هذه الحكومات للفساد والطغيان فتصبح بما يسمى بالديموقراطية المزيفة.

وأخيرا نجد أن ارسطو يفسر ويحلل الثورات الاجتماعية التي كانت منشرة في اليونان في تلك المرحلة على أسس سياسية واقتصادية وسلالية وديموغرافية وبيئية. (عبد الهادي الجوهري، 1999، ص 22).

4ـ التفكير الاجتماعي في بلاد ما بين النهرين

يذهب بعض الباحثين إلى أن ساكني جنوب العراق القدامى والذين يطلق عليهم عادة اسم السومريين قد عاشوا في ذلك المكان قبل عام 3000 قبل الميلاد، ويعتبر جنوب العراق إقليم ذا ارض منبسطة وبه تساقط قليل للأمطار واعتمد سكانه بشكل كبير على مياه نهري الدجلة والفرات

واستمر هذا الاستقرار في هذه البقعة في عهد البابليين وهي مجموعة قبائل متنامية استطاعت الاستيلاء على قرية بابل وأنهت دولة السومريين وبدأت الدولة البابلية

ولقد كان لنظام الري وحياة الاستقرار أثرا كبيرا في اتساع رقعة القرى التي أصبحت مع مرور الوقت بلدانا وتحول بعضها الى أول مدينة في تاريخ الانسان ولقد بدأ استخدام النحاس والأسلحة المصنوعة من المعادن لأول مرة في هذه البقعة (أرثر جريجور، القاهرة ،1978 ، ص 209).

وارتبط بنظام الاستقرار حياة اجتماعية مستقرة ومنظمة عاشها سكان هذه البقعة وقد قامت هذه الحياة أساسا على النظام الطبقي الذي انقسم الى:

ـ طبقة الكهنة والمحاربين وهذه طبقة الأحرار.

ـ طبقة الأرقاء من العبيد الأسرى.

ولقد انتظمت الحياة الاجتماعية والبناء الطبقي لسكان هذه المنطقة من السومريين ثم البابليين حول الدين.

فالثروة المخزونة في المدن الكبرى لم تكن مملوكة للرجال وإنما يملكها الألهة، والكهنة هم الذين يديرون ويعملون كإداريين ومديرين لهذه الثروة لحساب الألهة أصحابها، لذلك فان المحاصيل الزراعية كانت تجمع في مناطق مركزية تحت يدي الملك وكان في الأغلب هوز كبير الكهنة، وكان الكهنة مناطا أيضا بهم جمع الضرائب، وكان رئيس الكهنة يحكم كممثل للإله وكان الكهنة هم الحكام الفعليين للمجتمع.

وقد اختلطت الحياة الدينية اختلاطا تاما وامتزجت بتبعية جوانب الحياة الاجتماعية وشكلت الأساس في حركة هذه الجوانب، فقد كان الكهنة يؤجرون الأرض للمزارعين باسم الاله، وباسمه أيضا كانوا يوزعون البذور ويجبون الضرائب على شكل حصة من المحاصيل ويسدون النصح والمشورة الفنية للمزارعين، بل وكان الكهنة أيضا هم الذين يمارسون أعمالا أخرى عديدة مثل حياكة الملابس وتخمير الجعة وتبادل التجارة مع المدن الأخرى بحيث كان اقتصاد كثير من المدن الواقعة على طول نهر دحلة والفرات تعتمد على الكهنة.

أما الطبقة الأخرى وهي طبقة الجند فقد اقتضى الاستقرار والمحاصيل الفائضة وما كان ينعم به هذه المدن، اقتضى ذلك كله وجود قوة من الجنود العاملين كل

الوقت للحماية والدفاع عن ثروات هذه المجتمعات من الغارات الخارجية بالذات، وقد زود هؤلاء الجند بأفضل الأسلحة وأحدثها في ذلك الوقت.

ويلي هذه الطبقة طبقة الارقاء، الذين يتألفون من الاسرى والكثير من المواطنين الذين لم يكن لديهم حرية اختيار نوع عملهم، وقضى عليهم بأن يقوموا بأعمال كثيرة في الحقول والمناجم، وقد كانت ثروة الرجل تقاس بما يملك من عبيد بجانب الأرض والماشية.

وقد وضعت الدولة البابلية الكثير من التحريمات التي تحمى وتبقي على هذا البناء الاجتماعي الطبقي فحرمت على أبناء الفئة الأخيرة ـ ان يلبسوا النعال وأجبرتهم أن يمشوا حفاة عراة الرؤوس في حين أن الطبقات الأخرى يحق لأفرادها ذلك.

فضلا عن انتشار عادات لها دلالة اجتماعية ومن ذلك تعدد الزوجات الذي كان منتشرا.

وأشهر ما وصل الينا من البابليين هو مجموعة القوانين المشهورة باسم (شرائح حمورابي)، ان حمورابي ملك بابل جمع القوانين والأعراف القديمة في مكان واحد وكتبها كلها بالخط المسماري على لوح كبير من الحجر ونصبه في الهيكل.

ولقد كان شعب ما بين النهرين يكتب على الاجر المحروق ـ مادة غير قابلة للكسر ـوبجانب الكتابة فقد عرفوا العربات ذات العجلات والحيوانات والسفن

الشرعية، والأدوات المعدنية، وهم اول من قسم الزمن الى أسبوع يضم سبعة أيام كما قسموا اليوم 24 ساعة وقسموا الدائرة الى 360 درجة وبرعوا بالتنجيم ودراسة دورة الشمس والنجوم. (عبد الله عبد الغني غانم،1988، ص23).

5 ـ التفكير الاجتماعي عند المسلمين القدامى في القرون الوسطى

جاء الإسلام كدين وشريعة اجتماعية وفكرية ومعرفية واقتصادية وسياسية وثقافية مميزا ، وهذه السمة هدفت إلى تغيير نمط الفكر البشري إلى ما فيه الخير والصلاح ، فركز الإسلام على ضرورة تغيير العادات والتقاليد والنظم الجاهلية المختلفة والسلبية ، وطرح للعقل البشري البدائل الممهدة للتخلص من الشرور والآثام ، وهو ما ظهر بوضوح في طبيعة الدين الإسلامي وتركيزه على المساواة على المساواة والتكافل والعدالة ، تحديد حقوق الإنسان وواجباته ووضع نظم محددة لأساليب الجزاء والعقاب ، كما ناقش قضايا هامة تشغل اهتمامات العقل البشري مثل العلم ، الفقر،المساواة، العدالة، الإنتاج، العمل ، توزيع الثروة ، الحرية ....الخ .

لذلك يمكن القول إن المبادئ والمفاهيم والقيم التي تضمنتها الشريعة الإسلامية أسهمت في ظهور علماء ومفكرين وفلاسفة ومصلحين مسلمين استمدوا أفكارهم وأرائهم من هذه الشريعة، أو على الأقل محاولة تكييف مانهلوه من الفلسفات الأخرى مع ما يتوافق ما تضمنه الدين الاسلامي، فجاءت طروحاتهم

متميزة حيث كتب لها الاستمرار والامتداد نظرا لخصوصيتها، مما ساهم بلا شك الى حد كبير في ازدهار ورواج الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.

تعريف الفكر الإسلامي هو كل ما أنتجه العقل الإسلامي في كل المجالات وبخصوص كل الإشكاليات والقضايا المرتبطة بالوجود والطبيعة والعلاقات والحياة ولكن من وجهة نظر إسلامية، أي خاضعة للمنهجية الإسلامية التي حددتاه الشريعة الإسلامية ابتداءا، وبذلك يتم إخراج كل الفلسفات والأفكار والمفاهيم التي تعتمد خلفية عقدية أو فلسفية غير إسلامية.

ـ خصائص منهج التفكير عند المسلمين

1ـ التعدد **والتنوع** والشمولية: وهو ما يقتضيه مضمون شريعة الإسلام للدنيا والاخرة، للنقل والعقل، فيحث الإنسان على بذل جهده للوصول الى اليقين، ويعيب على أهل الظن، قال تعالى " ...إن الظن لا يغني من الحق شيئا "

2ـ وحدة المعرفة: التي تربط بين أجزاء الوجود الكوني رغم اختلافها في كل واحد.

3ـ تكامل عالمي الغيب والشهادة: فالعقل والنقل في منهج التفكير الإسلامي متجاوران، وكل واحد يخوض في مجاله، فالعقل مجاله العلم الظاهر، والوحي مجاله العلم الباطن، والغيب لله وحده.

4ـ العقلانية: قيمة العقل في الإسلام تقوم على أسس وهي قدرة اكتشاف العالم الخارجي مع الواقع وقدرة الربط والتحليل والاستنتاج للوصول لمعرفة الله.

5ـ الوسطية والاعتدال: فالحضارة الإسلامية عبر تاريخها لم تعرف تناقضا بين الروح والجسد أو بين الدنيا والاخرة وبين الدين والواقع، كما حصل في بعض الحضارات الأخرى.

6ـ التجديد: ويعتبر سبيلا لاستمرار الدين وامتدادا لتأثيره، وذلك بتجديد الأصول بإزالة ما علق بها من شوائب، والفروع والنوازل المستجدة الناجمة عن تغير الأحوال عبر الزمان والمكان.

7ـ الانفتاح: كما حدث في القرن 03و04 حيث ترجم المسلمون كثيرا من المؤلفات الأجنبية المختلفة للاستفادة من منافعها، واستبعاد ما فيها من ضرر.

8ـ الاستناد إلى القيم والمعايير الأخلاقية: حيث نجد أن الشرع اشترط الاستقامة والتزام المسؤولية لسلامة العقل ويقظته، ليتوجه إلى النفع ودفع الضرر لتحقيق الناس في دينهم وحياتهم.

ـ مضامين الفكر الاجتماعي عند المسلمين

جاءت المبادئ التي نادى بها الإسلام والتي وردت في القرآن والسنة والأحاديث النبوية الشريفة تحمل الكثير من المفاهيم والقيم التي تصلح لأن تكون منظومة حياة، والتي يمكن أن نذكر منها:

ـ تضمنت الآيات القرآنية تنظيما اجتماعيا شاملا في نواحي عديدة (الأخلاق، الأسرة، الاقتصاد، السياسة، القانون، العلم، المعرفة ...) فكانت سببا في خلق نشاط فكري تناول العديد من النواحي.

ـ اهتم القرآن الكريم بإبراز القصص وما صاحب ذلك من وصف المجتمعات مشيرا إلى الاختلافات بينها في العادات والتقاليد وكذا لأخذ العبر.

ـ ركز القرآن الكريم على الناحية العلمية الوضعية والدعوة للبحث العلمي عن طريق العقل والمعرفة، تأكيدا على الربط بين الظواهر الاجتماعية أو بين السبب والعلة، كأن يكون فساد الحال نتيجة لفساد الأخلاق.

ـ أن هناك دعوة لاستخدام الاستدلال والاستقراء مثل قوله تعالى: " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"

ـ في النظام السياسي أخذ الإسلام بنظام الشورى.

ـ في المجال الاقتصادي سمح بالملكية الفردية ولكنها مقيدة وذات وظيفة اجتماعية عامة.

ـ نماذج من مفكري المسلمين القدامى

ـ أبو نصر الفارابـــــــي (870ـ 950) م

ولد الفارابي في (وسيج) من مدن فاراب بأسيا الوسطى (التركستان) عام 870م ولقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق والعلوم والسياسة، ولقد تأثر الفارابي كثيرا بالفلسفة اليونانية وخاصة كتابات افلاطون التي ساقها في جمهوريته، ولكنه ارتكز على الإسلام وأحكامه وأضاف الى هذا كله تجاربه.

ويهتم الفارابي بتحديد مكانة الانسان في المجتمع وهو يصف الأمة بالجسم الواحد الذي لا يستقيم أمره إلا بالتضامن والتعاون وبتوزيع الأعمال وتنسيقها على أساس الاستعداد والموهبة والقدرة، وهي مماثلة عضوية حيث يرى الفارابي انه كما في البدن أعضاء يخدم بعضها بعضا فكذلك في المدينة أفراد يخدم بعضهم بعضا حيث تكون " المدينة حينئذ يخدم بعضهم ببعض مؤتلفة بعضها ببعض أو مرتبة بتقديم بعض وتأخير بعض، كترتيب الموجودات الطبيعية وائتلافها "

أما بالنسبة إلى الدولة وبالنسبة على أرائه في السياسة والحكم فقد ذهب الى أن الدولة لا تتقدم إلا إذا كان على رأسها الحكماء والفلاسفة المعروفون بكمال العقل وقوة الإدراك وقوة الخيال وهو هنا قريب من الفلسفة الأفلاطونية التي

أعطت أصحاب اللازمة لتحقيق الفضيلة التي اعتبرها أفلاطون غاية المجتمع السياسي.(جميل صليبا،1973،ص173).

ـ المدينة الفاضلة

ومع أن المدينة الفاضلة ظلت أمرا مثاليا (مثل جمهورية أفلاطون) صعب التحقيق فقد رأى أن هناك صفات فطرية لازمة في الحاكم والتي بلغت اثني عشر صفة.

وقد ذهب الفارابي إلى أن بني الإنسان في حاجة إلى الاجتماع للتعاون فيما بينهم إذ يقول إن كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ كمالاته إلى اتباع أشياء كثيرة لا يمكن أن يقوم بها وحده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشئ مما يحتاج إليه وفكرته هنا إنما تشبه فكرة أفلاطون الذي يرجع أساس الاجتماع الى الحاجات المادية للأفراد.

يقسم الفارابي المجتمعات الإنسانية الى فئتين كبيرتين ، مجتمعات كاملة ومجتمعات غير كاملة

ـ المجتمعات الكاملة : وهي ثلاثة أولها وأكملها اجتماع الجماعة كلها في المعمورة أو المجتمع العالمي ثم المجتمع الأوسط وهو المجتمع الذي يشمل أمة ، ثم المجتمع الأصغر وهو الذي يشمل مدينة ، ويلاحظ هنا أن الفارابي يتأثر بالفكر الإسلامي وهي فكرة العالمية ، فالإسلام خاصة والأديان عامة تدعو الى تحقيق فكرة العالمية وتمقت القوميات وتجزئة العالم إلى دول متطاحنة .

المجتمعات غير الكاملة: فهي على ثلاث أنواع، المجتمع الفردي الذي يشمل قرية، والمجتمع الذي يشمل سكان حي أو جزء من مدينة وأخيرا المجتمع المنزلي الذي يشمل أفراد أسرة واحدة،

وتقسم الأعمال في المدينة حسب الطبقات المختلفة بحيث تشكل أعلاها وأهمها أقرب الطبقات من الرئيس وبالعكس كل الأعمال الدنيئة لأبعد الطبقات من الرئيس، وتقاس دناءة الأعمال إما بالنسبة لموضوعها أو ما تشتمل عليه، وإما بالنسبة لعدم أهميتها وأخيرا بالنسبة لسهولة القيام بها وعدم تعقدها.

ـ أبو حامد الغزالي (1058– 1111) م

ولد في منتصف القرن الخامس الهجري في مدينة طوس بخراسان، ويعتبر حجة في علمه وقد أقام نظريته في الاجتماع والسياسة على تصور عضوي سبق به هربرت سبنسر حيث قارن بين الدولة أو المدينة وبين الجسم الإنساني، وفي اعتقاده أن موضوع السلطة التنفيذية من أخطر الموضوعات ولذا فقد ذهب إلى أن الحكم الصالح لا يتأتى إلا عن طريق الأمير الصالح ومن ثم كان اهتمامه بالنصائح العملية التي توصل اليها عن طريق البحث ومشاهدة أحوال الدولة والتي قدمها إلى حكام عصره وأمرائهم.

ويعتبر الغزالي رائدا في الفكر الاجتماعي بسبب اهتمامه بالتنشئة الاجتماعية، وقد أوضح أن التنشئة الأولى للطفل يجب أن تكون على أساس من التربية

الدينية التي تعمل على غرس مبادئ العقيدة في نفس الصبي منذ الصغر ، حتى تثبت في عقله وتصبح واجهة لسلوكه .

ويبين الغزالي كيفية تزويد الفرد بالتربية الخلقية ويرى أن تربية الطفل تبدأ بتعليم القرأن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين وأن تبعد عنه أشعار العشق لأن ذلك في قلوب الصبيان بذور الفساد

وبين أثر الجزاء في تثبيت السلوك الحسن وتعديل السلوك الرديء فيقول " مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس ".

وينبغي أن يعلم الصبي طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه، وكل من هو أكبر منه سنا، ويجب ان يعود الصبي أداب المجالسة والاستماع والكلام، وأن يمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعب والسفه، فإن القاعدة الأساسية عند الغزالي في تأديب الصبيان هي حفظهم من رفاق السوء.

ويتحدث الغزالي عن الطبقات في المجتمع فيقول هناك ثلاث طوائف:

الأولى: الفلاحون والرعاة والمحترفون.

الثانية: طائفة الجندية والحماة بالسيف

الثالثة: المترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء، وهم العمال والجباة وأمثالهم.

ويوضح تشابك العلاقات الاجتماعية فيقول: فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس والمسكن، وإلى ماذا انتهى، وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى، وهكذا تتناهى إلى غير حد محمود ...

6 ـ التفكير الاجتماعي عند المسيحيين في العصور الاوربية الوسطى

ـ العصور الاوربية وظهور المسيحية

عرفت أوربا أكثر المدارس الفلسفية اليونانية في القرون الثلاثة السابقة على ظهور المسيحية هي مدرسة أتباع أفلاطون ومدرسة أتباع أرسطو والمدرسة الابيقورية والمدرسة الرواقية

وبدلا من أن يغزو التفكير الفلسفي اليوناني العقلية الشرقية انتهى بانتصار هذا الأخير ممثلا في العقيدة المسيحية التي انتشرت في جميع أرجاء الإمبراطورية وهكذا تحقق الامتزاج بين الشرق والغرب.

وكانت ثورات العبيد والطبقات المستغلة تتوالى ضد روما بدون جدوى، الى أن نجحت المسيحية فيما فشلت فيه الثورات، فإن جميع الطبقات المغلوبة على أمرها اعتنقت المسيحية التي تنهى عن عبادة الامبراطور وتنادي بالمساواة أمام الله وتبشر بحياة أخرى ينال فيها المظلومون ما يستحقون من إنصاف فسهل بذلك على الكثيرين من رعايا الإمبراطورية ترك دياناتهم الوثنية وهجر ألهتهم القديمة التي لم تحميهم من ظلم الرومان.

أثر الديانة المسيحية في الحياة الاجتماعية

لقد أثرت الديانة المسيحية في الاتجاهات الفكرية والسياسية التي سادت الإمبراطورية الرومانية ، حقا إن المسيحية لم تحمل في بدايتها نظاما أو فكرا سياسيا محددا ، وإنما حصرت نطاق اهتمامها في المسائل الدينية وحسب ، ولكنها اجتذبت الطبقات الدنيا من الشعب الروماني خصوصا وأنها نادت بأن الخلق متساوون في نظر الخالق ، وأنه لا فرق بين فرد وأخر بسبب الطبقة أو الفقر أو المنزلة الاجتماعية ...ألخ ، ولقد وقع المسيحيون تحت الاضطهاد الروماني فترة طويلة من الزمان ، ولكن عندما اعترف الامبراطور قسطنطين بالمسيحية كدين رسمي للامبراطورية في القرن الرابع الميلادي ، تغيرت الأوضاع فسادت الديانة المسيحية وسادت على غيرها من العقائد وأصبحت هي الدين الوحيد المسموح به في الإمبراطورية الرومانية .

ولعل السبب الذي جعل الإمبراطور قسطنطين يعترف بالديانة المسيحية هو سبب سياسي في المحل الأول ، ذلك أنه كان يحتاج الى تأييد الكنيسة ، وبالتالي إيمان رجال الكنيسة ورجال الدين المسيحيين برمتهم وتأييدهم للدولة.

ولكن سلطة الكنيسة المتقدمة نحو الازدهار ، ما لبثت أن قامت في مواجهة سلطة الدولة أو إمبراطور الدولة ، خصوصا إذا حاول الامبراطور التدخل في شؤون الكنيسة وتعاليمها ، فوجد المسيحيون أنفسهم أمام طريقين ، أما أن يطيعوا الله أو أن يطيعوا الحاكم ، وهم كانوا يفضلون الطريق الأول ومن ثم

فلقد نشأت سلطتان سلطة دنيوية يرأسها الامبراطور وأخرى دينية ير أسها البابا ، كما ذاعت العبارة القائلة (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وبذلك كان المسيحي خاضعا لنوع من الالتزام الثنائي بين الله والحاكم ، ولقد كان من تأثير المسيحية أن ظهر مذهب الغايتين ، غاية دنيوية متصلة بالدولة ، وغاية أبدية متصلة بالكنيسة (إبراهيم أحمد العدوي،1962،ص144).

ولقد ازداد الصراع بالتدريج بين الكنيسة ورجال الدولة ابتداء من القرن العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر، ولم تعد النظرية التي تقرر نوعا من المساواة بين السلطتين الدنيوية والدينية قائمة فادعت الكنيسة أنها تملك السلطة القصوى دينية ودنيوية وتدخلت في تعيين الحكام، وتسيير دفة الشؤون السياسية مستندة الى القضية القائلة بأن سلطة الكنيسة تستمد مباشرة من الله بينما سلطة الدولة تنبثق من رجالها وليس من رجال الكنيسة.

ولعل هناك عوامل عديدة أسهمت في ازدياد نفوذ رجال الكنيسة وبالتالي ازدياد الصراع بينهم وبين رجال الدولة أهمها أن رجال الكنيسة استطاعوا أن يمتلكوا اقطاعيات شاسعة تقترب مساحة من ممتلكات الحاكم الأمر الذي مكنهم من زيادة نفوذهم وضغطهم على الحكام.

وظهر صراع عنيف بين أنصار البابوية وأعدائها، الأولون يرون أن الكنيسة لها السلطة القصوى، والأخرون يرون أن رجال الدولة هم وحدهم أصحاب السلطة الكبرى في المجتمع.

نماذج من مفكري المسيحيين القدامى

القديس أوغسطين (354 – 430) م

في كتابه مدينة الله الذي كتب بين 412– 426م يدافع أوغسطين عن المسيحية ضد الوثنية ويضع مقياسا أو معيارا لسمو النظم الاجتماعية وانحطاطها وانماط السلوك التي تحقق للفرد الغفران الإلهي أو تبعده عن هذا الغفران، ولقد سار اوغسطين مسيرة أستاذه الروحي افلاطون في تصويره لمدينة الله وفي نقده للملكية الفردية ومناداته بالملكية الجماعية، مؤيدا المبدأ القائل بأن ثروات الأرض قد أعطيت للأفراد على السواء.

انتقد فكرة الملكية الفردية لأن الله أعطى ثروات الأرض لكل الأفراد على السواء ولكن ذهب أوغسطين الى أن ذلك لا يعني الغاء الملكية الفردية تماما، فيمكن للأفراد أن يتمكلوا ، ولكن شريطة أن يعطوا للفقراء جانبا من ثرواتهم على اعتبار أن ذلك يمثل جزءا من النظام الإلهي الاجتماعي ، وهي مسؤولية الأغنياء في كفالة الحياة الكريمة للفقراء .

الشريان الرئيسي الذي وصلت عن طريقة فلسفة أفلاطون إلى الغرب المسيحي في العصور الوسطى كان يتمثل في شخصية القديس أوغسطين ، ذلك أن أوغسطين كان قد تأثر قبل اعتقاله المسيحية ـ بالمبادئ الأفلاطونية التي اطلع عليها في بعض كتابات شيشرون وأفلاطون ، ومن ثم اتخذ هذه المبادئ نقطة البدء عندما شرع يفكر في وضع فلسفة دينية .

ويرى أوغسطين أن العالم منذ سقوط أدم الى اليوم انقسم الى مدينتين أما إحداهما ستحكم مع الله حكما سرمديا، وأما الأخرى فستظل مع الشيطان.

وأن المدينتين الأرضية والسماوية تمتزجان إحداهما بالأخرى في هذه الدنيا، أما في الحياة الأخرى فسيتميز الرشد من الغي، إنه ليس في مستطاعنا أن نعرف في هذه الحياة من ذا يكون في نهاية الأمر من زمرة الأخبار، ليس في استطاعتنا معرفة ذلك حتى عن أعدائنا الظاهرين، ومدينة الله قوامها جماعة الأخيار، والعلم بالله لا وسيلة له إلا عن طريق المسيح، فهناك أشياء يمكن معرفتها بالعقل، أما عن سائر المعرفة الدينية فالحصول عليها يكون بالكتاب المقدس.

ولقد تصور أوغسطين أن الانسان يتكون من عنصرين رئيسين هما الروح والجسد ولذلك فإنه ينتمي الى مملكتين أو عالمين هما عالم المادة وعالم الروح، والثاني أسمى من الأول، ومع أنه لم يذهب الى حد المناداة بإفناء الجسد أو تعذيبه كوسيلة للخلاص إلا أن على الانسان دائما أن يسعى الى السيطرة على قوى الشر التي تنتج عن غرائز الانسان وعن العنصر المادي الذي يمتلكه، وهو في هذا الصراع مع قوى الشر إنما يرنو دائما الى خلود الروح حيث الحقيقة الأبدية.

ويقوم منهج أوغسطين على أن الدين لا الفلسفة هو سبيل السعادة والنماء، لأن الفلسفة لا تتعدى مرحلة المعرفة النظرية في محاولتها التوصل الى الله وبلوغ

السعادة، بينما الإيمان الديني يمكن المؤمن من التوصل الى الله بالتجربة الوجدانية القائمة على الاعتقاد والشعور والعاطفة والإرادة والشوق وبذلك يحقق لنفسه الطمأنينة والسعادة.

ويقوم منهجه ثانيا على أن الايمان شرط للفهم، كما أن الفهم شرط للإيمان.

ويوضح أوغسطين أن وجود العالم وقوته ونظامه الدقيق لا يمكن أن يكون من ذاته بل من موجد حكيم هو الله، وله دليل أخر يستند الى الحقائق العقلية، فيقول بأن العقل يصل الى الحقائق بان يكتشفها لا بأن يخترعها.

وتطرق لمشكلة وجود الشر في العالم وأن الوجود هو الخير، والخير هو الوجود وهو فيض صادر عن الله مصدر الوجود والخير، وأن الشر ليس له وجود إيجابي بل سلبي فهو عدم الخير، أي هو نقص الخير ومادام الشر نقصا فيكون مصدره المخلوق لا الخالق ومنشأه الإرادة، فالله خلق الكائنات العاقلة حيث خيره وأعطاه الإرادة، وقد نتج الشر عن عدم اختيار المخلوق للخير (علياء شكري وآخرون،1970، ص14).

توماس الاكويني (1225 – 1274م)

امتازت فلسفة بالتفرقة الواضحة بين العلم واللاهوت فقال أن الفلسفة لا يمكن أن تقدم ادلة واضحة لإثبات مبادئ المسيحية ، لأن العقل البشري يتقبل هذه المبادئ ، والاعتقاد فقط أنها من لدن الله ، وأقصى ما يمكن أن تقوم به الفلسفة هو تنفيذ مزاعم ضعاف العقيدة والمتشككين في الدين ، على أنه ثمة عنصرا مشتركا بين الفلسفة واللاهوت هو اننا لا ننتظر من العالم أن يؤمن بعقائد اللاهوت التي تسندها السلطة المقدسة دون أن يقدم الأدلة الفلسفية على وجود الله وماهيته .

وتقوم فلسفة توما الأخلاقية على أساس أن الشر غير مقصود لأن الكائنات كلها ترمي الى التشبه بالله في الخير كذلك يقول أن سعادة البشر الكاملة تقوم على التأمل في الله لأعلى اللذائذ الدنيوية، لأن الله هو الغاية القصوى والعقل الطبيعي هو مجموع الفوائد التي تقر الخير وتنبذ الشر.

وكان توماس الاكويني أرسطي النزعة وأكد ما ذهب اليه ارسطو من أن بالإنسان غريزة حب الاجتماع، ثم ذهب الى أن المجتمع المدني يشمل ثلاثة أفكار:

ـ الانسان اجتماعي بالطبيعة وأن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للإنسان لكي يحقق أغراضه

ـ المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الأمال المشتركة التي يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم.

ـ لابد من وجود سلطة عليا توجه المجتمع نحو الصالح العام تساعد الحكام على اصطناع الوسائل للوصول الى تحقيق الأهداف الاجتماعية، وذلك لا يتحقق الا بتنظيم سياسي واسع يقوم على اتفاق بين الحاكم والمحكومين، والقانون الذي يخضع الأفراد له لا يمثل رغبة الحاكم بل يمثل رغبة المجموع أو رغبة الأمير الحاكم كممثل للجماعة.

وفي اعتقاد توماس الاكويني أن الانسان اجتماعي بالغريزة أو بالطبع كما ذهب أرسطو، وبناء عليه فإن الانسان لا يستطيع أن يعيش بلا مجتمع لأن المجتمع هو الوسط الذي يحقق فيه الانسان إنسانيته.

ويرى كذلك أن المجتمع إنما ينبني على الخدمات المتبادلة أو على تبادل الخدمات التي تؤدي الى المجتمع الأفضل، ورتب على ذلك ضرورة أن يكون هناك نوع من التخصص في الأعمال يقوم بين الطبقات والفئات والجماعات الاجتماعية المختلفة لتنتج كل منها ما يحتاج الأخرون إليه من سلع وخدمات.

كما بحث الاكويني في تأثير الظروف المناخية على العادات والتقاليد والعقلية السائدة في المجتمع على غرار ما صنع أرسطو، مؤكدا سمو المناطق المعتدلة ومستغلا هذه الفكرة للتدليل على تفوق الشعوب المسيحية على غيرها من الشعوب الأخرى.

وتكلم عن مسألة وظائف الدولة التي حصرها في أمور أربعة وماعدا هذا من أمور أبدية فهو يخص الكنيسة:

1ـ تحقيق الأمن والطمأنينة في الحياة وتأمين الأفراد من الجوع والأخطار

2ـ ضمان العدالة بواسطة التشريعات القانونية

3ـ ترويج الحد الأدنى من الأخلاق بمساعدة الكنيسة، التي تعمل أساسا للحفاظ على الحياة الأخلاقية ونقول الحد الأدنى من الأخلاق، لأن الدولة في اهتمامها بالأمور الدنيوية الفانية تتجه نحو الأفعال اللاأخلاقية.

4ـ حماية الدين، وفي حماية الدولة للدين محافظة ومساعدة الكنيسة ومن هذا المنطلق الأخير نجد أن الدولة ترتبط ارتباطا وثيقا بالغاية الأبدية وذلك لكي توفر لأعضائها الظروف الملائمة التي تمكنهم من ممارسة سلطة التأمل فيما هو أبدي تحت إرشاد الكنيسة.

وقد أولى القديس توما الأكويني جل اهتمامه للبحث عن القانون أصله ونشأته وأركانه وأفاض فيه، وللقانون عند توما الأكويني أربعة أنواع

ـ القانون الأزلي: يطابق التدبير الإلهي للعالم أو هو القانون الذي يحكم به العالم، وهو الحكمة الإلهية المنظمة للخليقة، ومن ثم فهذا القانون يسمو على الطبيعة البشرية ويعلو فوق فهم الانسان، ومع ذلك فهو ليس غريبا عن الادراك الإنساني أو مضادا لقواه العقلية.

ـ القانون الطبيعي: هو بمثابة انعكاس للكلمة الإلهية على المخلوقات وهي تتجلى في رغبات الإنسان الطبيعية التلقائية في فعل الخير، ومعنى هذا أن القانون الطبيعي هو القانون الذي يحكم به العقل أو النفس الفاضلة التي تتأثر بالقانون الأزلي

ـ القانون الالهي او المقدس: ويتمثل في الشرائع والأحكام التي أتت عن طريق الوحي أو التبليغ كالشريعة الخاصة التي أنزلها الله على اليهود وتشريعات المسيحية.

ـ القانون الإنساني: ولما كان من المتعذر تطبيق الأنواع الثلاثة السابقة للقانون على بني البشر تطبيقا كليا وعاما، فلقد قام القانون الإنساني الذي وضع خصيصا ليلائم الجنس البشري، وهو قانون إنساني خالص، وإن كان لم يأت بمبادئ جديدة إذ هو مجرد تطبيق للمبادئ العظمى التي سادت من قبل العالم.

والقانون الازلي والقانون الإلهي يجسمان الغاية من اللاهوت المسيحي، فالقانون الأزلي هو تخطيط العالم باعتباره الغاية العظمى للاله الخالق، والقانون الإلهي هو إرادة الله التي تجلت في العهدين القديم والجديد.

ويرى توماس الاكويني أن طاعة القانون واجبة طالما كان عادلا، أما القانون الظالم إذا كان معارضا للقانون الطبيعي وللقانون الإلهي وللقانون الأزلي فلا تجوز له الطاعة بأي حال من الأحوال أما إذا كان معارضا لحق ثانوي فرعي فيطاع متى كانت مخالفته أشد على المجتمع.

الثورة الفرنسية

تعتبر الثورة الفرنسية التي إنطلقت شرارتها الأولى في العام " 1204ه-1789م" من أهم الأحداث ليس في تاريخ فرنسا فحسب بل في تاريخ أوروبا كلها، وثمة عوامل تضافرت مجتمعة في فرنسا أدت الى حدوث هذه الثورة ويمكن التعرف عليها من خلال إطلالة سريعة على أحوال فرنسا قبيل العام 1789م"

على صعيد الأحوال الاجتماعية و السياسية كانت فرنسا تعيش حالة من الاستقرار في ظل حكم لويس الرابع عشر والذي اهتم بالفنون و الآداب و نال حب الشعب واحترامه، ولكن بعد وفاته و انتقال العرش الى رجال أقل منه شأنا بدأ العبء ينزلق تدريجيا عن كاهل الملك و وزرائه الى كاهل الطبقة المتوسطة التي كانت قد بدأت تبرز للوجود و بخاصة في عهد لويس السادس عشر الذي اتسم بضعف الشخصية.

والذي قامت في عهده الثورة وتم إعدامه فيها في 21 يناير1793، وكان أفراد هذه الطبقة المتوسطة متعلمين وميسوري الحال ومن ثم بدئوا يشعرون بعدم الرضا عن المكانة الدنيا التي كانوا يحتلونها بالقياس الى طبقة النبلاء، وأصحاب المقام الرفيع في الكنيسة، فكان تذمرهم على هذه الأوضاع من العوامل التي أشعلت فتيل الثورة بالتحالف مع العامة أو من يسمونهم بالطبقة

الثالثة التي كانت ترزح في أوضاع سيئة في ظل النظام الاقتصادي السائد آنذاك.

الثورة الفرنسية وأسبابها:

تعريف الثورة الفرنسية:

تعتبر فترة تحولات سياسية و اجتماعية ميزت التاريخ السياسي و الثقافي لفرنسا و أوروبا بوجه عام ابتدأت سنة 1789 م و انتهت تقريبا سنة 1799م ،عملت حكومات الثورة الفرنسية على الغاء الملكية المطلقة و الامتيازات الإقطاعية للطبقة الأرستقراطية و النفوذ الديني الكاثوليكي.

تعتبر الثورة الفرنسية أول الثورات البرجوازية و كذلك من أهم الحوادث في تاريخ أوروبا الحديث حيث كان لها الأثر المباشر على الثورات التي حدثت بعدها و التي اقتبست مبادئها وهي: الحرية، الإخاء و المساواة.

- بداية الثورة:

بدأت الثورة الفرنسية في عام 1789م و شهدت السنة الأولى من الثورة في شهر يونيو بالهجوم على سجن الباستيل في يوليو وصدور اعلان حقوق الإنسان و المواطنة في أغسطس والمسيرة الكبرى نحو البلاط الملكي في فرساي خلال شهر أكتوبر مع اتهام النظام الملكي اليميني بمحاولة إحباط إصلاحات رئيسية و تم إعلان إلغاء الملكية ثم إعلان الجمهورية الفرنسية الأولى" أي النظام الجمهوري" في سبتمبر1792م و أعدم الملك لويس السادس عشر في

العام الثاني و كانت التهديدات الخارجية قد لعبت دورا هاما في تطور الأحداث إذ ساهمت انتصارات الجيوش الفرنسية في إيطاليا و المناطق الفقيرة المنخفضة الدخل غرب نهر الراين في رفع شعبية النظام الجمهوري كبديل عن النظام الملكي الذي فشل في السيطرة على هذه المناطق ، التي شكلت تحديا للحكومات الفرنسية السابقة لعدة قرون رغم ذلك عرفت نوعا من الديكتاتورية شابت الثورة في بدايتها.

فقد قضي بين 16.000 الى 40.000 مواطن فرنسي في هذه الفترة الممتدة بين 1793م و1794م على يد "لجنة السلامة العامة" إثر سيطرة روبسير على السلطة في عام 1799م وصل نابليون الأول الى السلطة وأعقبت ذلك إعادة النظام الملكي تحت إمرته وعودة الاستقرار الى فرنسا، استمر عودة الحكم الملكي واستبداله بنظام جمهوري لفترات ممتدة خلال التاسع عشر بعد خلع نابليون قامت الجمهورية الثانية «1848-1852» تلتها عودة الملكية "1852-1870".

أسباب الثورة الفرنسية:

للثورة الفرنسية عدة أسباب يمكن تقسيمها الى أسباب اجتماعية، واقتصادية وسياسية، وأسباب ثقافية.

1-الأسباب الاقتصادية:

ان النظام الاقتصادي في فرنسا نظام إقطاعي، عشية الثورة سادت اوضاع وأزمات سيئة جدا من مميزات ومظاهر هذا الوضع: ظهور البطالة، التضخم المالي وغلاء المعيشة.

2-الأسباب الاجتماعية:

عشية الثورة النظام الاجتماعي في فرنسا نظام طبقي وراثي وكانت هناك فجوات اجتماعية كبيرة بين الطبقات حيث كان المجتمع الفرنسي مقسم الى طبقات حسب امتيازات النظام الإقطاعي وهي:

أ-الطبقة الأولى: وهم رجال الدين لهم جميع الحقوق وليس عليهم واجبات ويحصلون على جميع الامتيازات الإقطاعية مثل: المشاركة السياسية، عدم دفع الضرائب، اقتطاعات واسعة تحت سيطرتهم، مناصب رفيعة وعالية في الدولة.

هذه الطبقة سيطرت على خمس الأراضي، وأخذت ضريبة العشور من الفلاح ولم تستغل الأموال لهدف ديني وأهملت واجبها الديني فتعرضت للانتقاد من الطبقات الأخرى، هنالك فروق اجتماعية وداخلها حيث وجد رجال الدين الكبار

ورجال الدين الصغار الذين نظروا للكبار بنظرة عدوانية لهذا فإن هذه الطبقة لم تكن كتلة واحدة.

ب-الطبقة الثانية: وهم النبلاء لهم جميع الحقوق وليس عليهم واجبات، يحصلون على جميع الامتيازات الإقطاعية مثل: المشاركة السياسية كتسلم مناصب عالية ورفيعة في الدولة، الحصول على اقتطاعات واسعة تكون تحت سيطرتهم، إعفائهم من الضرائب.

قسمت هذه الطبقة الى مجموعتين:

- نبلاء المقاطعات: اعتمدوا على الفلاحين للعمل بأرضهم، هذه لم تكن كتلة واحدة وتمردوا أحيانا ضد حكم الملك المطلق.

شكلت الطبقة الاولى والثانية نسبة2 من عدد السكان في فرنسا.

ج-الطبقة الثالثة: وهم البرجوازيون والعمال والفلاحون عليهم جميع الواجبات وليس لديهم حقوق، شكلت الطبقة الثالثة نسبة 98 من عدد السكان.

قسمت الطبقة الثالثة الى ثلاث فئات وهي:

أ-البرجوازية: وهم اصحاب الحرف، البنوك، التجار، أرباب الصناعة، الأدباء، الأطباء، الاساتذة وغيرهم.

ساهم هؤلاء في إنعاش الاقتصاد الفرنسي وأصبحت فرنسا دولة صناعية وتجارية بفضلهم كان يقع على كاهلها عبء معظم الضرائب لهذا لم تكن

راضية عن الاوضاع السياسية وطالبت بإشراكها في أمور الدولة السياسية ثم ان هذه الطبقة أيدت نظرية سميث التي تدعوا الى حرية الفرد الاقتصادية، وقادت هذه الطبقة الثورة الفرنسية واستفادت من مكاسبها ويمكن اعتبار الثورة الفرنسية ثورة برجوازية.

2-البروليتالية "طبقة العمال": ظهرت هذه الطبقة العاملة كنتيجة لتطور الصناعة والتجارة وترتكز عملها في المدن والمصانع من الصباح وحتى المساء، طالبت هذه الفئة بإلغاء الضرائب المباشرة والغير مباشرة التي فرضت عليهم وقفوا الى جانب الفلاحين ضد جنود الثورة.

3-الفلاحون: وهم يشكلون الاغلبية الساحقة ضمن الأمة الفرنسية ¾ سكان فرنسا وكان بعض هؤلاء يملكون قطع صغيرة لا تسد حاجتهم العائلية ،ومنهم من لم يملك أرضا لهذا عملوا في اراضي النبلاء أو الكنيسة و فرضت عليهم ضرائب وواجبات فوق طاقتهم فكان الفلاح يدفع ضريبة الراس و ضرائب غير مباشرة مثل ضريبة الملح ،ضريبة تصليح الطرق ولا ننسى ضريبة العشور التي دفعوها للكنيسة ،كما ألزم الفلاح بطحن الطحين في مطحنة سيده و عليه أن يخبز في فرن سيده ،وكان للنبلاء حق الصيد في حقول الفلاحين، بالإضافة لذلك عاشوا تحت وطأة شروط سكنية رديئة وكانت نسبة الوفيات لديهم كثيرة ومعظمهم يجهل القراءة و الكتابة و كانت الأعمال يدوية بدائية حيث كانت مستعدة لأي انتفاضة لتغيير وضعها الاجتماعي السيئ و إزالة

الحمل الثقيل عن اكتافها من هنا نرى أن الوضع الاجتماعي و التفاوت الطبقي الذي كان سائدا في فرنسا كان سببا رئيسيا في نشوب الثورة الفرنسية.

3-الثورة الثقافية:

ان الوضع الثقافي عشية الثورة الفرنسية يقترب الى درجات منخفضة من العلم والمعرفة وخاصة ان الامتيازات الإقطاعية سلبت فرصة التعليم والمعرفة من ابناء الطبقة الثالثة ورغبة التغيير في مبنى المجتمع والقوانين الفرنسية أما العوامل التي ساعدت في انتشار الوعي والنضوج الفكري فهي كالتالي:

أ-ظهور الكثير من الفلاسفة والمفكرين والمتنورين أمثال: جان جاك روسو فولتير هوبس وغيرهم

ب-ظهور الصالونات: وهذه تعتبر اساس النهضة الفكرية في فرنسا حيث انتشرت هذه الظاهرة في بيوت النبلاء في مدينة باريس إذ قامت نساء النبلاء باستقبال مجموعة من النبلاء والمفكرين كما استضافت البرجوازيون بنقل هذه الأفكار العامة للشعب الذين تواجدوا في المقاهي والحوانيت وهكذا انتشرت الأفكار الجديدة.

ج-عودة الجنود الفرنسيين الى وطنهم من القارة الأمريكية بعد أن حاربوا الى جانب الثوار الأمريكان، إن حكايات الجنود عن العالم الجديد اثارت مشاعر الفلاحين وغيرتهم من الحياة هناك فأثرت على أفكارهم ووعيهم وإدراكهم كم هم مظلومين.

4-الأسباب السياسية: لقد كان النظام في فرنسا ملكي فردي وراثي مطلق دكتاتوري اتخاذ القرارات فقد بيد الملك يشاركه فيبعض الاحيان رجال الدين والنبلاء لذلك كان في فرنسا مجلس يسمى مجلس طبقات الأمة وهو عبارة عن برلمان أقيم للمحافظة على امتيازات الطبقة الأولى والثانية، فكان يسن القوانين ويتخذ قرارات مصيرية، أغلق ما يقارب 250سنة وفتح عشية الثورة بسبب أزمات فرنسا الاقتصادية.

المجلس مركب كالتالي:

أ-رجال الدين ولهم 300 عضو مقابل صوت واحد

ب-النبلاء لهم 300 عضو مقابل صوت واحد (مصالح النبلاء ورجال الدين، كانت مشتركة وعدوهم الفلاح)

ج-الفلاحون والبرجوازيون والعمال لهم 600 عضو مقابل صوت واحد.

إن عدم انعقاد هذا المجلس كل هذه المدة يدل على أن صلاحيات الملك واسعة غير محدودة لان مجلس طبقات الأمة كان مجمد.

النبلاء طالبوا بعقد هذا المجلس لرفضهم دفع الضرائب ولتقييد صلاحيات الملك ومحاولة إقصائه، ولان عملية التصويت ستكون لصالحهم 2 مقابل 1

ملاحظة: إذا نستخلص من هذا أن أسباب صحوة ابناء الطبقة الثالثة هي:

1-الوضع الاقتصادي السيئ وأزمات فرنسا الاقتصادية.

2-الوضع الاجتماعي الطبقي الظالم.

3-الوضع السياسي المتعسف.

4-ظهور الكتب والكتاب والفلاسفة والمفكرين.

5-ظهور الصالونات.

6-الثورة الأمريكية وتأثيرها على المجتمع الفرنسي.

7-رجوع الجنود الفرنسيين من أمريكا بأفكار جديدة.

أهم الأحداث المركزية التي حدثت خلال الثورة

الحدث الأول: سقوط حصن البالستيل:

تعاظمت الأزمة الاقتصادية ووصلت إشاعات تقول بأن الملك يستعد للقضاء على الجمعية الوطنية و قمع الثورة، ووصلت إشاعات بان الجنود يحاصرون باريس بأمر من الملك كل هذه الظروف دفعت الجماهير الفرنسية و بالأخص جمهور باريس من فلاحين و عمال لمهاجمة حصن البالستيل الكائن في وسط باريس و الذي كان يستخدمه الملك كسجن لخصومه السياسيين من اجل التزود بالسلاح لكي تدافع عن الجمعية الوطنية وقد سيطرت الجماهير في 14 تموز على الحصن وهدمته و أطلق سراح السجناء عندها أمر الملك جنوده بالانسحاب ورفعت الجماهير العلم الثوري الأحمر و الأزرق و الأبيض و كان لسقوط

البالستيل معناه سقوط الحكم الملكي المطلق و من الجدير الذكر أن فرنسا تحتفل كل سنة في 14 تموز الذي يعتبر عيدا قوميا وطنيا.

الحدث الثاني: زوال نظام الإقطاع:

بعد سقوط البالستيل تشجعت الجماهير الفرنسية من فلاحين وعمال بمهاجمة أراضي وقلاع النبلاء الإقطاعيين، هذه الجماهير الثائرة حرقت ودمرت وسرقت المستندات، وتعتبر هذه الأحداث أحداث أسابيع الفزع الكبير وبأعقاب ذلك هرب الكثير من الإقطاعيين خارج فرنسا عندها اعلنت الجمعية الوطنية عن إلغاء امتيازات الإقطاعيين، وهذا انجاز هام من انجازات الثورة الفرنسية.

الحدث الثالث: مصادرة املاك الكنيسة

تمتعت الكنيسة في ظل النظام القديم بامتيازات واسعة بعد إلغاء نظام الإقطاع تجرأت الجمعية الوطنية وقررت الغاء امتيازات الكنيسة، حيث قامت بمصادرة مدخولات الكنيسة " ضريبة العشور" لصالح الدولة بحجة سد العجز المالي، كذلك صودرت أملاك وأراضي الكنيسة، وأصدرت الجمعية سندات الدين من أجل سداد الديون وأصبح رجال الدين عبارة عن موظفي دولة بعد أن كانوا دولة، كذلك اجبر رجال الدين على تقديم يمين الولاء وهكذا الغيت امتيازات هذه الطبقة وهذا إنجاز هام من إنجازات الثورة.

الحدث الرابع: الهجوم على قصر فرساي:

بعد أسابيع الخوف الكبير و بعد هروب الإقطاعيين و بعد تعاظم الأزمة الإقتصادية و بعد وصول إشاعات تقول بان عصابات اجنبية تقترب و ان جيشا أجنبيا على وشك الدخول الى فرنسا بهدف القضاء على الثورة وهي في المهد و الوقوف الى جانب الملك و الإقطاعيين الذين هربوا، كذلك وصلت إشاعات تقول ان الملك قام بتمزيق العلم الثوري وفي ظل هذه الظروف قامت الجماهير الغاضبة من فلاحين وعمال و نساء و أطفال بالهجوم على قصر فرساي رمز الحكم المطلق حيث طالبت هذه الجماهير بالخبز، الملكة تساءلت عن سبب هذه الضوضاء و عندما عرفت ان هؤلاء يطلبون الخبز يقال أنها قالت "إذا لم يجدوا الخبز فلماذا لا يأكلون البسكويت " لم يتجرأ الملك بإعطاء الأوامر للجنود والحرس بإيقاف الجماهير عندها قام قائد الحرس الملكي "لافييت" بإقناع الملك بالخروج من القصر و الإنتقال الى باريس و بالفعل غادر الملك القصر و نقل قصره الى العاصمة و أقام في قصر التويلري و هكذا انحنى الملك و خضع لإرادة الشعب، و هذا إنجاز من إنجازات الثورة الفرنسية.

الحدث الخامس: إعلان وثيقة حقوق الإنسان والمواطن

هذه الوثيقة من أهم إنجازات الثورة الفرنسية جاء في هذه الوثيقة الحقوق والواجبات التي يجب ان يقدمها المواطن للدولة أو المصلحة العامة

إذا نضرنا الى هذه الوثيقة نرى أن أفكار الفلاسفة أمثال روسو ومونتسيكو تظهر بوضوح في هذه الوثيقة، كذلك تأثرت هذه الوثيقة بوثيقة الاستقلال الأمريكية، وجاءت هذه الوثيقة لتؤكد الحرية الاقتصادية وحرية العمل ومنها نستطيع أن نؤكد ان هذه الوثيقة خدمت الفئة البرجوازية ذلك لأنها منحت الفرد الحرية الاقتصادية، وبناءا على هذه الوثيقة أصبحت الدولة وسيلة لتامين حقوق الإنسان ومن النقاط التي وردت في الوثيقة ما يلي:

1-الناس يولدون متساوون في الحقوق الطبيعية المقدسة التي لا يمكن انتزاعها من الفرد وهي حق الحياة، حق التملك، حق التصدي للاضطهاد.

2-الشعب هو صاحب السيادة والدولة مقيدة بواسطة حقوق الفرد وخاضعة للقانون.

3-الحرية هي أن يعمل الفرد على ما يشاء طالما لا يضر في عمله الحقوق المشروعة للغير.

4-جميع المواطنون متساوون أمام القانون.

5-حرية التعبير عن الرأي حق مقدس للفرد.

6-كل إنسان برئ حتى تثبت إدانته فلا يمكن انتقاد فرد أو سجنه الا حسب القانون.

الحدث السادس: دستور سنة 1791

يعتبر هذا الدستور من الإنجازات الهامة للثورة الفرنسية وقد وضع هذا الدستور بعد ان انتهت الجمعية التأسيسية مناقشتها، اما اهم ما جاء في هذا الدستور:

1-فرنسا دولة ملكية وراثية.

2-يتمتع الملك بصلاحيات واسعة بالأخص في الشؤون السياسية والخارجية، أما صلاحياته الداخلية فقد حددت وقلصت.

3-فصل السلطات: يجب انتخاب ثلاث سلطات تنفيذية، تشريعية وقضائية، فالسلطة الأولى " التشريعية " وهي عبارة عن هيئة ممثلين يقوم الشعب بانتخابهم مرة كل سنتين ويكون حق الانتخاب والترشح للمواطن الذي يدفع ضرائب مباشرة اما السلطة الثانية فهي مكونة من الملك ومجموعة من الوزراء يعينهم الملك، هذه السلطة تنفذ قرارات السلطة التشريعية.

4-شدد الدستور على حرية العمل والحرية الاقتصادية والحرية الدينية.

5-تستطيع الجمعية القومية ان تنزع الثقة من الحكومة والوزراء الذين يستعين بهم الملك.

6-قسمت فرنسا حسب هذا الدستور الى 83 دائرة " وحدة إدارية " وكل دائرة الى نواحي ويدير هذه الوحدات الإدارية موظفون يقوم السكان الدوائر بانتخابهم لتسهيل الحكم.

ـ الثورة و الكنيسة:

كانت الكنيسة الكاثوليكية مالك للأراضي في البلاد 10 بالمئة من الأراضي الفرنسية هي ملك شخصي للكنيسة الكاثوليكية، سوى ذلك فقد كانت معفاة من الضرائب و لها حق ادارة العشور، اي دفع المواطن الكاثوليكي 10 بالمئة من دخله ليعاد توزيعه على الاكثر فقرا و من لا دخل لهم ،وسلسلة امتيازات تشريفية أخرى ،كانت مجموعة من الفرنسيين تثير ثروة الكنيسة حفيظتها، و كانت أقلية من المفكرين الفرنسيين خلال عصر التنوير أمثال فولتير وجدت صداها في الجماهير فتشويه سمعة الكنيسة الكاثوليكية كان كافيا لزعزعة استقرار النظام الملكي و كما يقول المؤرخ " جون مكمانرس " : (في المملكة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر كانت تحدث مشاكل و خلافات بين العرش و الكنيسة، لكنها في تحالف وثيق إنهيارهما في وقت واحد هو البرهان النهائي على ترابطهما).

هذا الاستياء من الكنيسة أضعف قوتها خلال افتتاح الجمعية الوطنية في مايو 1789م عندما تم إعلان الجمعية الوطنية كممثل للشعب في يونيو 1789م، صوت اغلب رجال الدين مع ممثلي الطبقة الثالثة غير أن ذلك لم يقلل من الاستياء والنقمة.

في 4 أغسطس1789م، تم إلغاء سلطة الكنيسة في فرض العشور، وفي خطوة لحل الازمة المالية أعلنت الجمعية في 2 نوفمبر 1789م أن جميع ممتلكات الكنيسة هي تحت تصرف الامة، مع طرح عملة جديدة في السوق.

كان ذلك يعني فعليا تغطيت قيمة ممتلكات الكنيسة المنقولة والغير منقولة للعملة الجديدة.

في ديسمبر دخل القرار حيز التنفيذ بأن بدأت الجمعية الوطنية تبيع الأراضي والعقارات التابعة للكنيسة لمن يدفع " سعر أعلى" وفي خريف 1789م، ألغيت قوانين تشجيع الحركة الرهبانية وفي 13 فبراير1790 تم حل جميع الجماعات الدينية في البلاد وسمح للرهبان والراهبات ترك الأديرة، غير أن نسبة قليلة منهم خرجت من الأديرة في نهاية المطاف.

في 12 يوليو1790م، أصدرت الجمعية " نظام الحقوق المدنية لرجال الدين " أعتبر بموجبه رجال الدين " موظفي حكومة " وأنشات الجمعية نظاما حديثا للكهنة والآساقفة والرعايا، كما حددت اجورهم بموجب النظام الجديد.

في نوفمبر 1790 م، طالبت الجمعية الوطنية من جميع رجال الدين، قسم يمين الولاء المدني الفرنسي، مما خلق انقسام في أوساط رجال الدين، بين اداء اليمين المطلوبة، وبين أولئك الذين رفضوا وحافظوا على و فائهم للبابوية في المحصلة من رجال الدين أقسموا اليمين24%.

نتائج الثورة الفرنسية

-النتائج السياسية: وضح حد للاستبداد، الغاء الفيدرالية، حقوق الإنسان، دستور، فصل السلطة، الحرية والمساواة في الضرائب.

توحيد فرنسا: سياسيا، إقتصاديا، إداريا ولغويا.

التأثير على أوروبا وأمريكا اللاتينية.

هذا يعني بانه ظهر لأول مرة النظام الجمهوري، رغم الإقرار بحقوق الإنسان وفصل الدين عن الدولة والغاء الحقوق الفيدرالية واعتبار السيادة للامة، وتوحيد الشعب الفرنسي واعتبار الفرنسية اللغة المتداولة.

-النتائج الاقتصادية: استفادت البرجوازية من إلغاء النظام الفيدرالي في فرنسا والغاء الحواجز الجمركية، وتشبثت بالحرية الاقتصادية وتوحيد المكيال والاوزان والمقاييس.

الغاء الضرائب الفيدرالية وخلق ضرائب جديدة على الثورة،

اصبحت الميزانية تقترح من طرف الحكومة ويصادق عليها البرلمان.

النتائج الاجتماعية: عرف الميدان الاجتماعي تحولا كبيرا، حيث اصبحت البرجوازية هي مركز الثقل الاقتصادي، حيث سيطرت على اغلب الأراضي وحصلت على ارباح كبيرة نتيجة للحرية الاقتصادية والغاء الحواجز.

لم يستفد القرويون والفلاحون كثيرا بل تحولوا مع الوقت الى عمال زراعيين ونفس الشيء بالنسبة لسكان المدن تحولوا الى عمال صناعيين بدون حقوق.

في ميدان التعليم تبنت الثورة إلزامية التعليم ومجانتيه وعلمانيته.

في التعليم العالي اعيد تنظيم اعلى المؤسسات العلمية الكبر كالمدرسة المتعددة الفنون ومدرسة القناطر والطرق.

انفصلت الكنيسة عن الدولة وأصبحت مراسيم الزواج تتم في الجماعات وأصبح الطلاق مباحا والقضاء مجاني وهو من مهام الدولة.

إتخذت الثورة الفرنسية مبادئها من أفكار الفلاسفة " جان جاك روسو" و "فولتير" و " مونتسكيه " ورفعت عبارة: (الحرية، الإخاء، المساواة) كشعار لها، ولكن لأي مدى التزمت الثورة بهذا الشعار سواء على صعيد الداخل الفرنسي إبان الثورة أو على صعيد سياسة حكوماتها الخارجية فيما بعد؟

يعلق " روبرت دارنتون " استاذ تاريخ أوروبا الحديث في جامعة " برنستون " في ذكرى احتفال فرنسا بمرور مائتي عام على سقوط الباستيل، وازاحة الإقطاع اعلان حقوق الانسان والمواطن، فإن الوضع في فرنسا في الفترة التي قامت فيها الثورة لم يكن في حقيقة الأمر على كل ذلك القدر من السوء كما يعتقد الكثيرون.

الثورة الصناعية:

في أواخر القرن السابع عشر كان معظم الناس مجبرين على العمل في أراضي لم يكونوا يمتلكونها، وكانت هذه الأراضي ملك لطبقة معينة عرفوا آنذاك باسم الأرستقراطيين، حيث كانت هذه الفئة تعيش في الترف على حساب الطبقة العاملة "الكادحة"، فزيادة على عمل الحقول كانوا عبارة عن عبيد في قصور الأسياد، وقد وجد هذا النظام منذ قرون.

في المقابل بدأت تظهر في مدن إنجلترا و الولايات المتحدة بعض الاختراعات المتميزة و الاستثنائية، تغيرت معها الحياة و طريقة عمل الناس تدريجيا ، حيث وجدوا طرق جديدة لاستغلال مصادر الطاقة الطبيعية ، كالآلات التي اشتغلت بطاقة المياه و البخار، فعوضت بدورها العمل اليدوي البسيط فهي تقوم بنفس العمل و بطريقة أسرع و أرخص على نحو مذهل، فشيدت لها مصانع ضخمة لاحتواء هذه الآلات و زيادة الإنتاج، وعرف من هذا التحول من اليد الى الآلة بـ " المكننة "،فكانت معامل النسيج بانجلترا من اولى المصانع ، فالآلة الواحدة كانت تقوم بعمل خمسين شخص، وتطورت معها بالمقابل طرق المواصلات كالقطارات التي تمشي على السكك الحديدية، التي مكنت من ربط المصانع بالأسواق في انحاء العالم.

في ظل هذا التطور بدأ الفلاحون و الأشخاص من الطبقة في القرى و المداشر يفرون نحو المدن لتلبية حاجات المصانع لليد العاملة ، حيث قدرت بآلاف

الاشخاص في بعض المصانع ، وسجلت معها أرباح طائلة لأصحاب المصانع، وبالمقابل برزت معها ظواهر جديدة مثل التلوث و استغلال القصر من الأطفال، فكانت الثورة الصناعية نعمة للبعض و نقمة للآخرين، كما نخوض اليوم غمار الثورة التكنولوجية.

أهم المفاهيم المتعلقة بالثورة الصناعية

عرف العالم مع بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر تغيرا و تطورا في الميدان الصناعي، شمل وسائل الإنتاج المختلفة وسميت بالثورة الصناعية التي ظهرت ملامحها الأولى في اوروبا خاصة ثم امتدت الى مناطق اخرى من العالم، فماذا تعني الثورة الصناعية؟

ماهية الثورة الصناعية:

وهي التطورات الكبيرة التي عرفتها الصناعة في أوروبا عامة وانجلترا خاصة، ابتداءا من نصف القرن الثامن عشر و التي ادت الى حدوث تحول كيفي في فنون الإنتاج الصناعي حيث تم الانتقال من الصناعة اليدوية التي تعتمد على عمل الإنسان "أدوات عمل بسيطة" الى الصناعة الآلية التي تدفعها قوة محرك أو ما يعرف باختصار " المكننة "، حيث عرفت أوروبا في هذه المرحلة موجة عارمة من الاختراعات و الاكتشافات ، ساهمت في تطوير مختلف فروع الصناعة كصناعة الحديد و تعدين الفحم ،وصناعة المنسوجات و بدورها ساهمت طاقة المحرك في حدوث زيادة هائلة في كل من الإنتاج ،

وتكوين رأس المال و أصبحت الصناعة على إثرها النشاط الرئيسي في الاقتصاد الوطني.

مراحل بروز الثورة الصناعية:

مراحل ما قبل الثورة:

-ظهور الورشات المنزلية: كانت الصناعة في معظم المجتمعات في العصور الوسطى عملا ثانويا لشغل أوقات الفراغ لقليل من الناس، و ذلك لاعتماد جميع هذه المجتمعات وخاصة الأوروبية على الزراعة اعتمادا كليا لانتشار نظام الإقطاع بأوروبا.

-الصناعة للاستغلال الذاتي : كان المزارع و أفراد اسرته يصنعون ما يمكنهم صناعته لحاجاتهم الشخصية ، ويبيعون ما يزيد عن حاجاتهم لأهل القرية والقرى المجاورة.

-الصناعة من اجل التسويق: عندما استتب الأمن في اوروبا في أواخر العصور الوسطى وتحرر الفرد من قيود النظام الإقطاعي، استخدم بعض الناس اموالهم في شراء المواد الخام وسلموها الى الزراع في منازلهم نظير أجر متفق عليه ثم يأخذون المصنوعات ويبيعونها كما يشاؤون ويعرف هؤلاء باسم الوسطاء، وقد أدى ذلك الى ظهور بعض المصانع.

-ظهور المصانع: فكر بعض الوسطاء توفيرا للوقت والجهد في اقامة أماكن خاصة للصناعة، يعمل بها عمال نظير اجور، وظهرت المنافسة بين هذه

المصانع، فحاول كل مصنع أن يزيد مصنوعاته اتقانا، وان يخفض اثمانها لإغراء الجمهور وكان ذلك من أسباب الاختراعات في الصناعة.

مراحل أثناء الثورة:

-المرحلة الأولى:1770م-1830م

في خلال هذه الفترة تقدمت صناعة القطن والتعدين واستخدام البخار في تسيير الآلات، ثم كان أخيرا تطور وسائل النقل.

ومن بين الصناعات التي ظهرت:

-الغزل والنسيج: لقد حظيت صناعة الغزل في هذه الفترة بعناية كبيرة بفضل سعي الكثيرين الى تحسينها، حيث قام نجار ماهر يدعى " هرقريفز" سنة 1767م بصنع آلة الغزل فاستطاع الغزال الواحد أن يدير ثمانية مغازل بمفرده وصلت الى 120 مغزلا بعد التحسينات، ثم اخترع "بل" آلة لطبع الرسوم على الاقمشة بطرق كيمياوية فتنوعت أشكالها لتتناسب مع الأذواق.

-استخدام البخار: تمكن العالمان "نيوكومن " و " سافري " سنة 1698م، من الكشف عن قوة البخار ثم استخدامها في الصناعة، ثم جاء العالم "جيمس وات" سنة 1760 وعمل على تحسين هذه المخترعات، وبدأ في استخدام البخار في صناعة القطن والصوف وغيرها الى منسوجات ونتيجة للمخترعات السابقة ارتفعت صناعة التعدين، وتمكن العالم "بسمر" سنة 1856من من الوصول

لتحويل الحديد الى صلب لاستخدامه في صنع الآلات التي تتطلب المقاومة زمنا طويلا (آلة جيمس وات البخارية مخترع الآلة البخارية).

-وسائل النقل: في ميدان وسائل النقل جرى الاهتمام في البداية بشق الترع والقنوات المائية بطرق علمية وهندسية جديدة، ثم ظهرت صناعة السكك الحديدية والعربات وما يمكن ملاحظته ما يلي:

-استعمل البخار في تسيير الزوارق على يد المهندس الاسكتلندي "سيمنجتن" سنة 1802م.

-في عام 1806م، أنشأ "روبرت فولتن" الأمريكي زورقا بخاريا من الخشب.

-وفي سنة 1823م، كانت القوارب البخارية تسيير بأعداد كثيرة في أنهار انجلترا ثم استطاعت عام 1828من ان تعبر المحيط الاطلسي.

-وفي عام 1830م استخدم البخار في المواصلات البرية عندما أنشأ "جورج ستيفن"، أول خط جديدي بين ليفربول ومانشستر وفي ميدان وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية استطاع "مورس"، أن يكشف التلغراف واكتشف «جراهام بل" الهاتف، واكتشف "هرتز" الموجات الجوية و "ماركوني" الراديو اللاسلكي وبذلك اصبحت الأخبار والخدمات التجارية تنتشر بسرعة، وبأقل مجهود وطويت المسافات الطويلة التي كانت تفصل البلدان والشعوب والقارات عن بعضها البعض.

المرحلة الثانية: 1830م-1870م:

في هذه المرحلة اصبحت الصناعة تسير قدما نحو الرقي على اساس وقواعد سليمة، وبدأ عصر الإنتاج الكبير في الصناعة بحيث تعدت النهضة الصناعة حدود انجلترا الى بقية أنحاء أوروبا ثم الى أمريكا، ووصلت صناعة النسيج من قطن وصوف الى درجة كبيرة من الإتقان وأخذت الآلات تحل محل الأيدي العاملة في مختلف المجالات اليدوية الأخرى كصناعة الأحذية والطحين والغسيل...الخ.

آلات النسيج الموصولة بالمحركات البخارية.

-في ميدان المحركات الكهربائية، وفي ميدان الكهرباء والمحركات الكهربائية استطاع المهندس "لنوار" أن يخترع محركا يشتغل بالبترول وتوصل العالم البلجيكي "فراينم"، الى اختراع المولد الكهربائي واخترع العالم الألماني " ديزل" المحرك الذي يحمل اسمه ومن ذلك تقدمت هندسة الكهرباء وهكذا اخترعت السيارة عام 1885م، والطائرة 1908 م، واستمرت حركة الاختراعات تنموا وتتطور في القرن العشرين ومازال تسير وتتطور بسرعة مدهشة.

العوامل المساعدة على قيام الثورة الصناعية:

لقيام الثورة الصناعية اجتمعت عدة عوامل وأسباب دفعت بها الى النهوض كما كانت سببا في النجاح والاستمرارية.

العامل الاجتماعي والتكنولوجي:

العامل الاجتماعي يتمثل في:

-التزايد الديمغرافي "السكاني": شهد معدل نمو السكان بأوروبا ارتفاعا كبيرا وملحوظا منذ القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وهذا لانخفاض معدل الوفيات مما غطى احتياجات مختلف المصانع لليد العاملة وزيادة الإنتاج وكذا ظهور البحث العلمي والاختراعات التي ساهمت في زيادة الإنتاج وتحسينه من دون ان ننسى زيادة الطلب على المنتجات وتنويعها مما شجع على التقدم الصناعي.

وفي التكنولوجيا ظهر التطور العلمي: ساعد التطور العلمي والاكتشافات العلمية الى اختراع الآلات المتعددة التي ادت بدورها الى زيادة الإنتاج ورفع الاقتصاد الوطني.

العامل السياسي و الاقتصادي

من العوامل السياسية نجد :

سياسة الحرية الاقتصادية : في الفترة الممتدة لقيام الثورة الصناعية بدأت الأفكار الفلسفية والاقتصادية تتجه نحو رفع شعارات حرية العمل ،حرية الإنتاج ،وحرية الاستهلاك.

وكان رائدا هذا الفكر "آدم سميث" و"ريكاردوا" وخاصة في بريطانيا مما جعلها تترك الحرية و الباب مفتوحا للأفراد للدخول في ميادين الإنتاج المختلفة على عكس ما نادى به أصحاب المدرسة التجارية، كذلك اتبعت الحكومات سياسة تخفيض الضرائب على رؤوس الأموال الموظفة في الصناعة.

-أما العامل الاقتصادي يتمثل في:

-اتساع التجارة الأوروبية الداخلية والخارجية: وقد أدى ذلك الى

-الكشوفات الجغرافية وتوسع السوق العالمي.

-التقدم في وسائل النقل البري.

-التقدم في وسائل النقل البحري.

-تراكم رؤوس الأموال في يد التجار والصناع الأوروبيين.

-توافر رؤوس الأموال ادى الى تمويل الاختراعات، والأبحاث والاستمرار في توسيع المشروعات الصناعية والسلع الإنتاجية، وقد لجات بعض الحكومات

الأوروبية التي لا تتوافر لها رؤوس أموال كبيرة في إتباع سياسات مختلفة لتوفير رؤوس الأموال اللازمة للصناعة ومنها:

-اقراض بعض الصناعات والاشتراك في البعض الآخر

-إعادة تقييم العملة بفرض زيادة عرض النقود وحل مشكلة ندرة رؤوس الأموال.

- زيادة الادخار الإجباري.

-قيام شركات المساهمة التي استطاعت أن تجمع المدخرات وتوجيهها للصناعة في شكل قروض.

-قيام البنوك بنفس العملية كذلك لعب دور رئيسي في تمويل المشاريع.

مظاهر ونتائج الثورة الصناعية

بعد كل التطورات التي ظهرت في جميع المجالات وقيام الثورة الصناعية انجز من ورائها نتائج كما تميزت ببعض المظاهر.

مظاهر الثورة الصناعية

- ظهور نظام المصانع : بقيام المخترعات و استخدام الآلات بشكل واسع ظهر نظام المصانع الذي ادى الى تغيير كبير في الصناعة خلال المرحلة الأخيرة من القرن الثامن عشر بعد ان كانت الصناعة مبعثرة في مناطق متعددة بدا التحول في تمركز الصناعة في مناطق معينة ،كما أن عدد العمال زاد في نظام المصانع إذ تشير بعض الإحصائيات الأولية عام 1830م أنه كان عدد العمال يبلغ 175 في احد المصانع و 93 في مصنع الحرير، بينما كان عددهم يتراوح بين 1500 و2000 في مصانع الحديد ، أدى هذا الوضع الجديد الى زيادة نفوذ اصحاب الأموال للسيطرة على معظم عوامل الإنتاج كما أدى هذا التحول الى خلق طبقة جديدة وهي طبقة المديرية، مما دعا الى توسيع شركات المساهمة.

-تركز السكان في المدن : خلق نظام المصانع وتركز الصناعة في مناطق معينة وخاصة في مناطق استخراج المواد الأولية أدى الى تركز السكان في المدن التي تقام بها الصناعة، فكان سكان المدن في بريطانيا في القرن التاسع عشر يمثلون 75بالمئة من إجمالي السكان، أما في ألمانيا فبلغ حوالي66 بالمئة بينما في فرنسا لم يصل 50 بالمئة.

-نمو التجارة الخارجية: المنافسة الكبيرة التي قامت بين الدول الأوروبية للسيطرة على السوق الخارجية، أدت الى التوسع الاستعماري و بالتالي

الاحتكارات التجارية و كانت الدولة ذات القوة البحرية هي المسيطرة، حيث استطاعت بريطانيا بفضل قوتها البحرية ان تسيطر على اهم الأسواق العالمية و بسبب التوسع التجاري الأوروبي ،دعت الضرورة الى تخصص في مجال الصناعة و بالتالي كبر حجم المشروعات.

-كبر حجم المشروعات: بعد توصل طبقة المديرين لإدارة المشروعات بدأت المشاريع في توسع أكبر و ذلك من جهة البحث عن الإنتاج بأقل تكلفة و زيادة الأرباح ،ومن جهة أخرى وضع حد لأصحاب الأعمال الصغيرة أي احتكار الصناعة في يد فئات قليلة(ظهور الاتجاهات الاحتكارية في الصناعة) الكارتل الترست

كبر المشروعات أدى الى الاحتكارات نظرا لتركز الصناعة في يد فئات قليلة هذا ما ساعد الشركات الكبرى بعقد اتفاقيات تنص على تنظيم عمليات البيع و تحدد الإنتاج و الأسعار وتوزع الأسواق فيما بينها ،وخاصة في المانيا والولايات المتحدة الأمريكية ،كان غرضها منع المنافسة بين الكارتل.

قامت في ألمانيا نقابات إنتاجية عرفت باسم المنتجين عن طريق عقد اتفاقيات خاصة بتحديد الأثمان و تنظيم الإنتاج وتوزيع السوق فيما بينها، إذ اندمجت شركات التروست.

اما في الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت النقابات الإنتاجية شكل التي أرادت الانضمام اليها تحت ادارة موحدة تقوم برسم سياسات الإنتاج وتزول المنافسة

فيها التروست و الثمن و توزيع السوق ،بذلك تختص شخصية الشركة فيما بينها، وبهذا يخلو لها الجو في السيطرة الكاملة على السوق، لكن هذا النظام تم إبطاله من طرف الحكومة الأمريكية بقانون شارمان 1890 و بقانون لايتون 1914.

المطلب الثاني : نتائج الثورة الصناعية

1-زيادة الثورة القومية : نتيجة للثورة أصبحت دول أوروبا الصناعية تتمتع بمقدرة إنتاجية عالية، فأزدادت الأرباح و تضاعفت المداخيل، كما حققت الدول زيادة كبيرة في إيراداتها من الضرائب وغيرها ،إذ أصبحت ميزانيتها ذات أهمية كبيرة للتأثير على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية.

2-زيادة وحدات العمل : قيام التكتلات و التكامل الاندماجي الإقتصادي مثل الاتحادات الدولية وعلى رأسها المجموعة الأوروبية المشتركة في الوقت الحالي.

3-إرتفاع مستوى المعيشة : توفرت فرص للعمال في عدد من المناطق الخاصة في الولايات المتحدة، إذ كانت الأجور مرتفعة ،أما في أوروبا فكان معدل الأجور ضعيف جدا و خاصة في بريطانيا نظرا لرجال الأعمال الذين كانوا يسعون لتحقيق أرباح عالية.

4-نشوء الخلاف بين العمال وأصحاب العمل: نظام المصانع ادى الى تجمع العمال في حرفة واحدة، ونظرا لتوسع المصانع أصبح العمال يشكلون قوة عمل

هامة لذلك بدؤوا بزيادة أجورهم، وتحسين شروط العمل، مما دعا الى تكوين النقابات العمالية.

5-زيادة أهمية دور رؤوس الأموال: أدت الثورة الصناعية الى فتح المجال واسعا أمام اصحاب رؤوس الأموال أن يسيطروا على المجال السياسي وعلى الأوضاع الاقتصادية عامة سواء محلية أو خارجية.

6-نمو التجارة الخارجية: وتعتبر سبب ومظهر ونتيجة للثورة الصناعية فقد ازدهرت تجارة أوروبا الخارجية نتيجة لازدهار صناعتها، وحدث أن أصبحت السمة الغالبة عليها، أي أنها تصدر مواد ومنتجات صناعية وتستورد مواد اولية لازمة لصناعتها.

نستنتج مما سبق ان الثورة الصناعية التي قامت في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ساهمت كثيرا في التغييرات التي حدثت في أوروبا خاصة والعالم بشكل عام، حيث مست مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وكان لها دور كبير في دفع عجلة التطور لكن استغلت من طرف (الأوروبيين الرأسماليين)، الرأسمالية المطلقة الذين مكنتهم من التفوق ماديا فوظفوا نتائجها في تحقيق أطماعهم الاستعمارية على حساب الشعوب الضعيفة في إفريقيا.

عصر التنوير ونشأة علم الاجتماع:

إن العديد من المفكرين تبنوا الاتجاه الذي ينادي بأن المفكر العربي المسلم " عبد الرحمان بن خلدون" قد سبق "أوغست كونت" إلى إنشاء وتطوير علم الاجتماع بأربعة قرون، وذلك من خلال مقدمته التي ناقش فيها طبائع العمران البشري وقوانين المجتمع الإنساني، وأنه عالج معظم القضايا والمشكلات التي تعالج الأن في إطار علم الاجتماع.

لكن عمل بن خلدون لم يكتب له الاتصال والاستمرار ذلك لأنه واكب سقوط الحضارة العربية والإسلامية وصعود الحضارة الغربية، إضافة ربما إلى الحواجز اللغوية والثقافية التي أخرت وصول وتعرف المفكرين الغربيين على أعمال بن خلدون وإنجازاته.

لذلك فإن نشأة علم الاجتماع في الغرب كانت مستقلة عن نشأته في الشرق، فلقد كانت نشأته في الغرب على يد الفرنسي "أوغست كونت"

وهذه النشأة مرتبطة أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري التي مر بها المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت.

والواقع أن الحديث عن نشأة علم الاجتماع باتجاهاته الفكرية المختلفة لابد أن ينطلق من عصر التنوير أو فلسفة التنوير أو فلسفة التنوير ذلك لأن القضايا التي أثارتها هذه الفلسفة لعبت دورا كبيرا في تشكيل الاطار الفكري للعلم الاجتماعي الجديد سواء كان هذا الاطار متقبلا أو رافضا لهذه الأفكار.

لذلك سنوضح أولا ماهو عصر التنوير.

ماهية عصر التنوير:

إن مصطلح التنوير ظهر في أوروبا ويبدو أن " ريكي ديكارت"(1596 - 1650) كان أول من استخدام مصطلح التنوير بالمعنى الحديث، فهو يتحدث مثلا عن النور الطبيعي الذي يقصد به مجمل الحقائق التي يتوصل إليها الانسان عن طريق استخدام العقل فقط.

كتب"إيمانويل كانط" سنة 1784 مقالا في مجلة "برلين الشهرية" تحت عنوان: ماهو التنوير؟ ومما قاله فيه:" التنوير هو خروج الانسان من قصوره الذي اقترفه في حق نفسه، وهذا القصور هو بسبب عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من انسان آخر. ويقع الذنب في هذا القصور على الانسان نفسه عندما لا يكون السبب فيه هو الافتقار إلى العقل، وإنما الى العزم والشجاعة اللذين يحفزانه على استخدام عقله بغير توجيه من انسان آخر.."

كما أن عصر التنوير يدعى بعصر العقلانية بمعنى نشوء حركة ثقافية تاريخية دعيت بالتنوير قامت بالدفاع عن العقل والعقلانية كمبادئ ووسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة بدلا من الدين.

لذلك فهناك من اعتبر أن ذلك العصر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيق العلمانية.

إضافة إلى ذلك فقد اعتبر رواد هذه الحركة أن مهمتهم قيادة العالم إلى التطور والتحدث وترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة والأفكار اللاعقلانية ضمن فترة سميت العصور المظلمة.

فماهي العصور المظلمة؟

من المعروف تاريخيا أن موقف الكنيسة وآراء رجالها كان يمثل في العصور الوسطى الجهل والتخلف والخرافة، فلقد طلبوا من المسيحيين الايمان والاذعان لهم ولآرائهم في تفسير الظواهر الكونية مدعين أن الكنيسة والدين يختص بتفسير هذه الظواهر، وإن الخروج عليها كفر وإلحاد، ويكون الجزاء الطرد من رحمة الكنيسة.

ولقد فتش بعض العلماء فيما يطالبهم رجال الكنيسة به والايمان والاعتقاد بصحته، فوجدوا أن هذه الآراء والتفسيرات خرافة لا يقرها العقل وجهل لا يقبله العلم، وظلام وتخلف، فأعلنوا ثورتهم على هذه الآراء وتلك الخرافات.

وتجدر الإشارة إلى أن علماء وأفراد من الشعب لم ينتبهوا إلى ضرورة التفرقة بين رأي رجال الكنيسة والدين، وبالتالي صار الدين بالنسبة لهم-كما عرفوه من رجال الكنيسة-مرادفا للتخلف والجهل والخرافة، كما أصبح رجل الدين بالنسبة لهم داعيا إلى الجهل محاربا للعقل، وبالتالي تم تصوير الموقف على أنه صراع بين الدين والعلم، بين العقل والخرافة، بين التقدم والتخلف، وبين النور والظلام.

فكان مصطلح التنوير هو المعبر عن نتيجة هذا الصراع، ومن الجدير بالذكر أن قصته بدأت بين الكنيسة والعلماء منذ أيام العالم "نيكولاس كوبرنيك س1473-1543م" الذي أعلن عن آرائه في الطبيعيات والفلك ومركز الكون معارضا آراء الكنيسة، وانسحب ذلك الموقف على الدين بمفهومه العام.

المحور الثاني : ماهية علم الاجتماع

أولا : تعريف علم الاجتماع

أول من استخدم كلمة علم الاجتماع sociology هو أوجست كونت في عام 1939 ، وكان يريد أن يسمي العلم الجديد الفيزياء الاجتماعية ولكنه عدل هذه التسمية بعد أن شرع العالم البلجيكي أدولف كتليه adolphe quetelet في اجراء دراسات إحصائية عن المجتمع وسمى محاولته هذه الفيزياء الاجتماعية

ولم يتفق العلماء لحد الأن في إيجاد تعريف واضح لعلم الاجتماع ، ذلك لأن تعريف علم الاجتماع مرتبط ارتباطا واضحا وتاما بموضوعه ومنهجه بل وبعلاقاته بغيره من العلوم الاجتماعية وغير الاجتماعية ، وبتعدد تعارفه تعدد نظرياته ومذاهبه

وخير تعريف نستنتجه من مجرى التاريخ لأن علم الاجتماع جزء من هذا التطور الكبير الذي مر من الدين خلال الفلسفة الى العلم.

تعريف اجبرن ونيمكوف علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية

تعريف سوركين يرى ان علم الاجتماع علم عام وخاص في نفس الوقت فهو عام لانه يدرس الخصائص العامة للعالم الاجتماعي الثقافي ككل ، وهو خاص لان يدرس هذه الخصائص تقتضي تخصصا لا يقل عن تخصص علم الطبيعة أو علم علم الاقتصاد

ثانيا : موضوع علم الاجتماع

يرى ابن خلدون في تقسيمه لموضوعات علم الاجتماع أنها تقع في نقطتين :

ـ أن تتعلق ببيئة المجتمع أي التي تتناول الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها والنظم التي تسير عليها المجتمعات في هجرة أفرادها وكثافتهم وتخلخلهم والمسائل التي تتعلق بتخطيط القرى والمدن.

ـ ويرى ابن خلدون النقطة الثانية هي تلك المتعلقة بدراسة النظم العمرانية (النظم الاجتماعية) مثل النظم الأسرية الأخلاقية الجمالية واللغوية والدينية.

وحاول أوغست كونت جعل موضوعين أساسين لعلم الاجتماع وهما

ـ الاستقرار الاجتماعي

ـ التطور الاجتماعي

وقد أطلق كونت على الأول في الأونة الأخيرة بالبناء الاجتماعي إلا أنه قابل للنقد من حيث البناء الاجتماعي لوقوعه في اطار الحكم. (محمد محمد طاهر أل شبير الخاقاني، 1978، ص 22).

أما دوركايم فيرى أن موضوع علم الاجتماع بناءا على دراسة البناء الاجتماعي ودراسة الوظائف التي يؤديها هذا البناء في أجزائه وكلياته، وجعل موضوعه الأساسي هي الظواهر الاجتماعية بما أنها تتصل بنشاط الإنسان من حيث كونه

كائنا اجتماعيا ككل لا إلى ناحية واحدة فيه كالناحية الاقتصادية وحدها أو السياسية أو الدينية وحدها .

وبتعدد الظواهر يمكن فرض تعدد أقسام الاجتماع، وسار جماعة كثيرة إلى ناحية ثانية من جهة دراسة الوحدات المتمايزة مثل المجتمعات المحلية التي تتميز من الوجهة الجغرافية أو دراسة المجتمع القروي وتكون هي المحور في تميزها عن المجتمع.

والمقصود من الظواهر الاجتماعية كما عرفها ابن خلدون بأنها عبارة عن القواعد والاتجاهات العامة التي تتخذ في مجتمع ما أساسا لتنظيم الحياة الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربط بين أفراد هذا المجتمع بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى، ومن هذه الظواهر ما يتعلق بشؤون السياسة ـ التعليم ـ الاقتصاد ـ نظم إنتاج الثروة وتداولها وتوزيعها ـ الأسرة نظم الزواج والطلاق والقرابة والمواريث. (محمد محمد طاهر أل شبير الخاقاني، 1978، ص 24).

المحور الثالث: الـــــــــــرواد

ـ ابن خـــلدون 1332-1406م

ولد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد الكندي المعروف بابن خلدون في تونس درس على أبيه وأشياخه في تونس وفاس ، وعاش في تلمسان وبجاية وعاش كذلك في الاندلس ، واعتصم بعدها بقصر من قصور بني عريف في قلعة ابن سلامة جنوبي قسنطينة حيث شرع في كتابة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المعروف بالمقدمة ، حيث نجد فيه مجمل أفكاره الاجتماعية والفلسفية ، وعمل ابن خلدون في التدريس والقضاء ، ومن مؤلفاته بالإضافة الى المقدمة سيرة حياته الى ان وافته المنية بالقاهرة

تعرضت دراسات ابن خلدون العلمية الاجتماعية الى حقيقة المجتمع الإنساني وطبيعة الانسان، منطلقا في ذلك من عدة نقاط أو مسلمات مأخوذة من القرأن الكريم، والتي منها قام بالمقارنة بين الكائن البشري، والكائن الحيواني، مقارنة علمية تؤكد ما ورد في كثير من الآيات القرآنية. وقد درس ابن خلدون مجالات المقارنة في كثير من النواحي كالبناء والوظائف والتكامل بين الأجزاء والنمو والتطور ، أي دراسته تتطرق لناحيتي الثبات والتطور ، كما رسم قوانين التحول التي تتحكم في المسيرة التاريخية ويعتبر أن كل مرحلة متصلة بسابقتها وقسم المجتمعات في العالم بحسب درجات التطور الحضاري ، فقسم

المجتمعات الى ريفية (بدوية) وتتسم بالعصبية وبكثافة سكانية ضعيفة ، وبقوة تماسك أعضائها ولا تتوافر فيها معالم المدنية ، وإما حضرية تتميز بالكثافة السكانية العالية وتقسيم العمل ، وتخصص العمل والمستوى المعاشي العالي ، والتقدم العلمي والثقافي ، والمستوى المعيشي والثقافي العالي ، وتكون علاقات التماسك فيه ضعيفة

كما أعطى أهمية كبيرة للملاحظة في البحث الاجتماعي وركز على الموضوعية والنزاهة العلمية ووجوب التقيد بالروح العلمية.

ويرى ابن خلدون ان السبب الرئيسي في الاجتماع الإنساني هو أن قدرة الانسان لوحده قاصرة عن تحقيق حاجاته، وبالتالي فهو مضطر للتعاون مع الأخرين والعمل معهم.

وأما المساهمة الرئيسية لابن خلدون في إنشاء علم الاجتماع فأخذه بالملاحظة التي تأتي من قيامها بجمع المادة الأولية لموضوع البحث من المشاهدات ومن بطون التاريخ. (صلاح الدين شروخ، 2005، ص 73).

ثم درس وتطرق الى العمليات العقلية التي تجري لدراسة هذه المادة لبناء علمها أي علم الاجتماع بالكشف عما يحكم الظاهرات العمرانية من قوانين فهو يرى ان علم الاجتماع بما هو ضروري وبما هو اجتماعي.

ـ أوغست كونت 1789 ـ

ولد ايزيدور أوغست – فرانسوا ماري – كونت عام 1789م في مونبلييه الفرنسية في أسرة محافظة، درس في مدرسة البوليتيكنيك، عاش حياة اجتماعية صعبة، ثم اتصل بسان سيمون ولازمه وساعده وفي سنة 1842م بدأ مرحلة جديدة سماها المرحلة الوضعية، وبدأ بإلقاء المحاضرات باسم دروس في الوضعية، وبعد 12 سنة كاملة أعد كتابه دروس في الفلسفة الوضعية وفي سنة 1854م نشر كتابه السياسة الوضعية وقدم له بمقالة في جملة المذهب الوضعي

الأساس الفكري لماهم كونت في بناء علم الاجتماع قائم على الفلسفة الوضعية التي تعتبر جميع الظاهرات خاضعة لقوانين طبيعة لا تتغير، والتي تكون كلمة وضعي دالة فيها على النزعة العضوية المباشرة التي يتصف بها الفكر الوضعي، الذي يحل محل الفكر اللاهوتي في حكم الإنسانية من الناحية الروحية

ومهمة عالم الاجتماع هي الكشف عن القوانين بدقة، عن طريق التحليل الظواهر، ثم الجمع بينها عن طريق علاقات التشابه والتعاقب الطبيعية، أي أن ركائز منهجه تقوم على الملاحظة، والتجربة والاعتماد على منطق المقاربة بين الظاهرات والمجتمعات، ثم القيام بالتحليل التاريخي من خلال دراسة الأفكار وتحليلها كمقدمة لفهم التطور الاجتماعي، وأعطى كونت أهمية كبيرة للملاحظة

وأعطى كونت تصورا لغاية علم الاجتماع بأنه يعمل على اصلاح المجتمع، الذي هزته الحركات الثورية، والفلسفات النقدية واعتبر الاتجاهات النقدية هدامة فمطلب الوضعية الوقوف موقفا إيجابيا من النظام القائم

ويعتبر ان العلم نشأ بمراحل ثلاث ألغت كل واحدة منها سابقاتها وهي المرحلة اللاهوتية ثم المرحلة الميتافزيقية ثم المرحلة الوضعية

وقد قسم كونت علم الاجتماع الى قسمين هما قسم الاستاتيكا والديناميكا

كما تحدث عن منهج الملاحظة والتجربة ولم يستخدمه

ـ كارل ماركس 1818م – 1883 م

ولد كارل ماركس في تريف الروسية لأب محام يهودي، اعتنق البروتستانتية ودرس كارل الحقوق في جامعة بون ثم جامعة برلين واهتم بالفلسفة والأدب عمل صحافيا وعاش في باريس حيث تعرف على انجلز ، وتوفي عام 1883م بلندن بعد عدة أسفار عديدة.

ـ أميل دوركايم 1858- 1917م

ولد ابينال – باللورين – منطقة الفوج الفرنسية لأب يهودي وحصل على شهادة التدريس في الفلسفة عام 1882م وعمل في المدارس الثانوية الفرنسية واهتم كثيرا بالدارسات الاجتماعية، تأثر بفكر فلاسفة عصر التنوير مثل جون جاك روسو ومونتيسكو وسان سيمون، الذي يعتبره دوركايم استاذه في علم الاجتماع.

يعتبر دوركايم أحد دعائم الحركة العلمية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وهو مؤسس علم الاجتماع الحديث وزعيم المدرسة الفرنسية (الوظيفية) لعلم الاجتماع (الحسن،إحسان محمد ،1999، ص 224).

ولقد ترك لنا دوركايم تراثا علميا يتمثل في مجموعة من المؤلفات والمقالات هذا بالإضافة إلى إنشائه المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع.

ومن أهم مؤلفاته:

ـ تقسيم العمل الاجتماعي. (1873)

ـ قواعد المنهج في علم الاجتماع. (1895)

ـ الانتحار. (1897)

ـ التربية الخلقية. (1903)

ـ الصورة الأولية للحياة الدينية. (1912)

ـ علم الاجتماع والفلسفة. (1924)

ـالمجلة السنوية لعلم الاجتماع عام 1896 التي أصبحت لعدة سنوات المجلة الرئيسية للفكر الاجتماعي والبحث في فرنسا (بيومي محمد أحمد ،2000، ص 134).

وهناك ثلاثة عوامل شغلت تفكير دوركايم

المذهب العقلاني عند ديكارت بتأكيده القوى للتحليل الصوري ,وعصر التنوير الذي يعد بعصر جديد يتحقق فيه الاستخدام الحر للعقل ,ثم وضعية أوجست كونت التي أنارت الطريق لوجود علم جديد للمجتمع ,بمنهجه ومدخله واتخذ مكانا مع العلوم الأخرى في قدرته على اكتشاف القوانين واستخلاص التعميمات والقيام بالتنبؤ .والى جانب هذه التأثيرات التكوينية لم تفشل نظرية التطور في أن تترك بصمة على تفكير دوركايم فقد ساعدته على رؤية المجتمع في ضوء النمو العضوي وتشابك الأجزاء ,ولذلك أصبح المسرح مستعدا ليقوم دوركايم بتقديم أعظم إسهام في علم الاجتماع قدمه إنسان ,وبدون دوركايم لسار تاريخ علم الاجتماع في اتجاه آخر .وبدونه لكان علم الاجتماع في خطر بالغ من رده إلى علم النفس الذي كان في ذلك الوقت علما أكاديميا كما كان الجو العام أكثر قبولا بنسق فكري يفسر القوى التي تحرك المجتمع في ضوء الدوافع السيكولوجية والغرائز والإشباعات . (بدر،2008 :75-77)

أسس الدراسة ومنهجية البحث عند دوركايم :

ينظر دوركايم إلى علم الاجتماع من حيث كونه يهتم بدراسة المجتمع وما ينبعث عنه من ظواهر دراسة علمية وصفيه تحليلية. ولكي يتحقق هذا فانه لابد من منهج علمي يستطيع بفضله الوصول إلى قوانين الظواهر (الغريب،عبد العزيزبن علي،2009،ص150).

قواعد المنهج العلمي عند دوركايم:

ضرورة تحرر الباحث الاجتماعي بصورة كلية من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة والبحث.

ضرورة تخصيص مبحث أو فصل من البحث لتحديد معنى المصطلحات والمفاهيم العلمية التي يستخدمها الباحث في دراسته العلمية، وهذه المصطلحات تعبر عن الظواهر الاجتماعية التي يدرسها الباحث.

عند قيام الباحث بدراسة الظواهر الاجتماعية المحددة في دراسته عليه ملاحظة هذه الظواهر، وهذا شرط ضروري حتى يمكن التوصل إلى الصفات الثابتة التي تتيح لنا الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية ومن ثم تسمح لنا بالكشف عن القانون الذي تخضع له.

أما خطوات منهج دوركايم في علم الاجتماع فيمكن درجها بالنقاط التالية:

1. دراسة مكونات الظاهرة وتحديد عناصرها الأساسية لكي يتمكن الباحث من فهمها.
2. دراسة أشكال الظاهرة في كل مرحلة من مراحل تطورها لربط ماضي الظاهرة بحاضرها بطريقة منطقية.
3. دراسة علاقة الظاهرة بالظواهر الأخرى المشابهة وغير المشابهة لها.
4. الاستفادة من منطق المقارنة بين الظاهرة والظاهرة الأخرى.
5. التعرف على الوظيفة التي تؤديها الظاهرة الاجتماعية وتطوير تلك الوظيفة في مختلف المراحل التي تمر بها الظاهرة الاجتماعية.
6. تحديد القوانين التي يتم استخلاصها من الدراسة بصورة دقيقة باعتبارها الهدف الرئيسي للعلم.

وقد تصاغ هذه القوانين في صور كمية تعبر عن الظاهرة بالأرقام أو في صور كيفية تحدد الخواص والصفات العامة والدعائم الأساسية التي تقوم عليها الظاهرة. وهذا كله لابد أن يؤدي إلى رفع قيمة وفاعلية علم ما بين غيره من العلوم.

وكما يهتم المنهج عند دوركايم بالطريقة التاريخية فانه يهتم أيضا بطريقة المقارنة ويعتقد دوركايم بان البحث عن العلاقات السببية بين الظواهر الاجتماعية ليس إلا جانبا مهما من الجوانب التي يهتم بها علم الاجتماع لذلك حاول أن يطور منهجا وظيفيا يلاءم دراسة الظواهر الاجتماعية، علما بان

النزعة الوظيفية عند دوركايم هي بديل للمنهج الغائي الذي تكشف عنه كتابات كونت وسبنسر . **الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم**

عرفها بأنها طرق للسلوك والتفكير والشعور خارجة عن الفرد ولها من قوة التأثير ما تستطيع به أن تفرض نفسها على الفرد (بدر،يحي مرسي،2008،ص 77) .

ونستطيع أن نستخلص من هذا التعريف صفات الظاهرة الاجتماعية وهي كالتالي :

الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة موضوعية لها وجود خاص خارج شعور الأفراد الذين يلاحظونها ويحسون بها لأنها ليست من صنعهم بل يتلقونها من المجتمع الذي تنشا فيه.

الظاهرة الاجتماعية ليست هي وليدة التفكير الذاتي عند الأفراد .

الظواهر الاجتماعية هي ظواهر شيئية وهذه الخاصية هي التي اعتمد عليها دوركايم في تأسيس علم الاجتماع ذلك انه شبه حقائق العالم الاجتماعي بحقائق العالم الخارجي .

الاجتماعية هي أشياء خارجية بالنسبة لشعور الأفراد .فالفرد يقبل الظاهرة ويخضع لها ويستسلم كما لو كانت قوة خارجية .

للظاهرة الاجتماعية صفة الإلزام أو القهر.أي تفرض نفسها على شعور وسلوك الفرد .

الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة إنسانية تنشا بنشأة المجتمع الإنساني .

تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها تلقائية أي من صنع المجتمع ومن خلقه .

الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة عامة وعمومية الظاهرة ناجمة من صفة القهرية

.

تمتاز الظاهرة الاجتماعية بصفة الترابط .بمعنى أن كل ظاهرة اجتماعية مترابطة مع الظاهرة الأخرى

ـ ماكس فيبر 1864 – 1920 م

يعتبر من أشهر علماء الاجتماع الألمان ولد في أيرفورت بألمانيا لأسرة بروتستانتية قضى معظم حياته في برلين ودرس الاقتصاد منذ عام 1882م والتقى بأفكار ادم سميث وماركس ودرس القانون الروماني أيضا ، في جامعة هايدلبرج وحصل على الدكتوراه في القانون سافر الى أوربا وأمريكا ما بين عامي 1899-1904م ولم يحترف علم الاجتماع إلا في السنتين الأخيرتين من حياته ، وكان كذلك مولعا بالسياسة ومهتما بالعلاقة بين البروتستانتية والرأسمالية.

يمكن حصر فضل ماكس فيبر في تطوير منهجية العلوم الاجتماعية في نقاط أساسية نذكر منها مايلي :

ـ إمكانية تطبيق المفاهيم الاجتماعية على تصرفات الأفراد عن طريق تفسير الكلمات المعبرة عن الأوضاع والظروف الاجتماعية ، تفسيرا يتفق مع طبيعة

تصرفات الأفراد ، وقيام ماكس فيبر بذلك هو السبب في بنائه لمنهج يخص العلوم الاجتماعية.

ــ تحويل العلوم الاجتماعية إلى مواضيع محايدة أخلاقيا، فلا تهتم بالقيم وإنما تهتم لأمر وصف وتحليل الحقائق الاجتماعية كما هي: ويتم هذا الفصل بين الحقائق وبين القيم المتداخلة معها بطريقة النموذج المثالي

ــ طريقة النموذج المثالي يسرت له دراسة الانفعالات والعواطف الفردية الكامنة في الفعل الاجتماعي، دراسة موضوعية بعيدة عن التحيز.

قائمة المراجع:

-عبد الله عبد الغني غانم ،تاريخ التفكير الاجتماعي، الجزء الأول، المكتب الجامعي الحديث،1988.

-محمد عاطف غيث ،علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية،القاهرة،2009.

-صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة،2005.

-حسن شحاتة سعفان، تاريخ التفكير الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة،1999.

-عبد الهادي الجوهري، أصول علم الاجتماع، دار الكتب، 1999.

-محمود عبد المولى، تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع ط2، 1986.

- أرثر جريجور، الانسان عبر التاريخ، ترجمة نور الدين الزراري، القاهرة،1978.

- جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 2 ،1973.

-إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، دار المعرفة، القاهرة، 1962.

-علياء شكري وآخرون، قراءات معاصرة في علم الاجتماع، القاهرة، دار الكتاب للتوزيع، ط2، 1979.

-الحسن إ حسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار وائل للنشر، بغداد ،1999.

-الغريب عبد العزيز بن علي، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2009.

بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ,2008.

بيومي محمد أحمد، أسس وموضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ،2000.

نماذج من امتحانات المقياس:

اسم الطالب: .....

جامعة الجلفة زيان عاشور الفوج :.....رقم التسجيل:.....

قسم العلوم الاجتماعية ـ السنة الأولى علوم اجتماعية

إمتحان السداسي الأول لمقياس : مدخل الى علم الاجتماع

السؤال الأول : أ/ يعتبر التفكير الاجتماعي عاملا أساسيا في ظهور علم الاجتماع ، وضح ذلك (08 ن)

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ب/ أذكر مثالا عن التفكير الاجتماعي في إحدى الحضارات (04ن)

.....

.....

.....

.....

.....

السؤال الثاني : حاول أن تقدم تحليلا بسيطا للعلاقة بين موضوع علم الاجتماع عند ابن خلدون وموضوع علم الاجتماع عند أوغست كونت (04ن)

.....

.....

.....

.....

.....**السؤ**

ال الثالث : أذكر بعض الفروقات الأساسية بين التفكير الاجتماعي عند المسلمين والتفكير الاجتماعي عند المسيحيين في القرون الوسطى (04ن)

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....بالتوفيق .